الفصل الثالث

الإسلام فى غرب أوربا

الاسلام والثقافة العربية فى فرنسا

قليلون فى عالمنا الإسلامى المعاصر هم الذين يعرفون أن الإسلام قد توطدت دعائمه ورسخ بنيانه وازدادت رقعته بعد أن انتشر من قلب الجزيرة العربية وأنه وصل فى مدة الواسع إلى أرض فرنسا وكان على بعد ثلاثين كيلو متر من باريس عاصمة فرنسا الحالية حيث وصل الإسلام فى حركته الامتدادية إلى بلده سانس فى سهول فرنسا الواسعة ، وأن المسلمون قد استقروا فى فرنسا ما يقرب من قرنين من الزمان ، ومن هنا فقد كانت الضرورة ملحة لإلقاء الضوء على فرنسا المسلمة وكذلك الثقافة العربية الاسلامية بها وذلك لكى يتعرف مسلموا اليوم على جزء من كفاح أجدادهم الأوائل الذين عملوا على نشر العقيدة الاسلامية السمحة فى شتى بقاع الأرض وخاصة أرض القارة الأوربية .

وسوف نتناول هنا شرح النقاط الآتية :

١ ــ المد الإسلامى شمال جبال البرانس .
٢ ــ اتساع المد الاسلامى فى أرض فرنسا على يد ولاة الأندلس .
٣ ــ إحساس الفرنجة بالمد الاسلامى واستعدادهم لملاقاته .
٤ ــ المد الاسلامى يقف موقتا عند أبواب مدينة بواتيه .
٥ ــ الحضارة الاسلامية وثقافتها فى فرنسا .

اولا : المد الاسلامى فى شمال جبال البرانس :

كانت الفتوحات الاسلامية التى خرجت من الجزيرة العربية تتدافع كأمواج البحر تقتلع أمامها كل الأوثان وتحطم الأصنام وتنشر عقيدة الاسلام وكانت الفتوحات الاسلامية قد تخطت جبل طارق ووصل المسلحون إلى الأندلس وكان

لابد أن يتبع فتح الأندلس قفزة أخرى إلى ماورائها من أرض الشمال لنشر عقيدة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وكانت فكرة موسى بن نصير عندما تم له فتح الأندلس أن يعبر جبال البرانس إلى أرض فرنسا ومنها يسير شرقاً لتحقيق مشروعه الكبير وفتح روما والقسطنطينية والوصول إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية ولكن من أجل هذا المشروع استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك قائده موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد ، وذلك لخوفه من أن يلعب النصر برأس موسى فيغرر بالمسلمين فى أرض أوربا الواسعة ويقودهم فى طريق لم يسلكه فاتح من قبل. ولولا تردد الخلافة الأموية وتردد خلفائها لاستطاع موسى بن نصير أن ينفذ مشروعه فى اختراق أوربا من الغرب إلى الشرق والوصول إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية عن طريق روما والقسطنطينية وكان من المرجح أن تلقى النصرانية ضربتها القاضية فى ذلك الوقت وذلك لأن الظروف السياسية والحربية كانت تساعد على اكتساح أوربا ونشر رسالة الاسلام بها ، ولكن مشروع غزو فرنسا لم يتم بنهاية عهد موسى بن نصير فقد ظهر المشروع مرة أخرى فنجد أيوب بن حبيب اللخمى والى الأندلس بعد عبد العزيز بن موسى بن نصير يوجه جهوده نحو الشمال ليطهر البلاد من أية مقاومة رغم قصر مدة حكمه وأيضاً تتفق المصادر على أن الحر بن عبد الرحمن الثقفى قام بالغزو فى أرض فرنسا وما وراء البرانس ، وتذكر أنه غزا جنوب فرنسا حتى أربونه عاصمة فرنسا الربوتيه وظل يغزو أهل هذه الأرجاء من فرنسا الجنوبية حتى اضطر سكانها إلى طلب الصلح ودفع الجزية للمسلمين والاعتراف بالسيادة الإسلامية على تلك الأنحاء التى بدأت تنطوى تحت لواء الراية الإسلامية فى جنوب البلاد وإذا كانت غزوات الحر بن عبد الرحمن الثقفى هى بداية الزحف الإسلامى فى أرض فرنسا على الرغم من أن المصادر العربية لم تشر إلى ذلك وإن كان المؤرخ الفرنسى « كوديرة » قد أشار إلى فتوحات الحر بن عبد الرحمن الثقفى فى أرض فرنسا وتصميمه إلى ضم تلك الأراضى الواسعة للدولة الإسلامية الكبرى.

ثانياً : اتساع المد الاسلامى على ايدى ولاة الأندلس :

لقد دخلت الفتوحات الإسلامية عهد جديدا يتولى السمح بن مالك الخولانى

ولاية الأندلس (١٠٠ هـ — ٧٢٠ م) فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، فقد نشطت حركة المد الإسلامى لنشر رسالة الاسلام وتعميق أثرها فى نفوس الشعوب التى تسكن فيما وراء جبال البرانس ، وذلك لأن السمح بن مالك الخولانى كان رجلا قوى الايمان ، راسخ العقيدة عاملا ما وسعه الجهد للجهاد فى سبيل الله وكان جم النشاط ، دائب الحركة والاستعداد لأنه بادر بمحاربة النصرانية ، وحول الحماس فى نفوس الجند إلى جهاد وأراد تحقيق حلم موسى بن نصير فى فتح تلك الأقاليم والوصول إلى دمشق شرقاً وقد قام السمح فعلا بغزو ولاية سبتمانيه فى جنوب فرنسا وبها سبع مدن كبرى وكانت عاصمتها أربونة ، وترك أرض فرنسا ثم انعطفت نحو الغرب حيث نهر الجارون مستولياً فى طريقه على ما يقابله من مدن حتى وصل إلى تولوز فحاصرها واستولى عليها ، ويبدوا أن هذا النشاط العسكرى الكبير الذى قام به السمح بن مالك قد أفزع أهل أكوتيانيه ، فنهض دوقها الدوق « أودو » وسار بجيشه حتى لقى السمح ودارت معركة عنيفة على مقربة من « طولوشه » تولوز وأشتد فيها القتال ، ولكن الجند المسلم الذى عرف بقوة إيمانه ورسوخ عقيدته ، قاتل وثابر وبذل الدم من أجل نشر العقيدة الاسلامية وكتب الله الشهادة لقائد جند المسلمين ، السمح بنى مالك ولم يستطع الجيش الاسلامى العودة إلى قواعده بالأندلس إلا بفضل العناية الآلهية وبفضل أحد كبار جنده هو عبد الرحمن الغافقى وكان عهد السمح ذو أهمية كبرى فى الجهاد فى سبيل الله فى أرض فرنسا ، إذ أن فى عهده بدأت حركة الفتوح تأخذ وضع الاستقرار للجنود المقاتلة والحاميات فى أرض فرنسا وأصبحت أربونه قاعدة أمامية لإتمام الغزو الاسلامى فى تلك البلاد واتخاذها مركز لتجميع القوى الاسلامية للانطلاق منها لفتح كل فرنسا وبعد استشهاد السمح بن مالك الخولانى تولى قيادة الجند الاسلامى بالأندلس عنبسة بن سحيم الكلبى (١٠٣ هـ — ٧٢٣م) ولقد كانت البلاد فى فوضى بعد استشهاد السمح واشتد النزاع والصراع بين العصبيات العربية التى بدأ يستفحل أمرها بالأندلس ولقد سلك عنبسة مسلك السمح الذى سلكه من قبل وهو مواصلة الزحف والغزو فى أرض الفرنجه لرفع راية الاسلام على ربوع هذه الأرض وضمها إلى ديار الاسلام لكى تصبح الدولة

الثانية الكبرى فى أوربا بعد الأندلس ففكر فى تدعيم خط الدفاع عن أربونه وكانت الأمور قد استقرت بالأندلس فعجل بالنهوض للغزو فى فرنسا .

ولكنه لم يسر فى الاتجاه الذى سار فيه السمح بن مالك من قبل بل سار على الساحل فصعد بقواته المجاهدة فى سبيل الله مع نهر رانه حتى أدرك قرقشونه فحاصرها وشدد عليها الحصار حتى نزل أهلها على شروطه ثم استولى عنبسه بعد ذلك على « نيمه » ثم واصل زحفه يحدوه الأمل فى الاستيلاء على كل الأراضى الفرنسية وضمها إلى ديار الإسلام ، ثم الاتجاه شمالا وشرقاً لفتح باقى أجزاء أوربا واستمر فى زحفه الإسلامى الظافر حتى أدرك نهر رداتة وذلك دون أن يلقى أية مقاومة تذكر تعترضه فى طريقة من الفرنجة وصعد مع النهر حتى وصل إلى نهر « ساوان » واستولى على « أوتون » ووصل إلى حوض الرون وفتح إقليم « بروفانس . واستمر فى سيرة شمالا مستولياً على « ليون » حتى وصل إلى « أوتان » فى أعالى نهر الرون وكان عنبسه قد دخل فى إقليم « بورجونيـــا » ويذهب المؤرخون إلى أنه استولى على مدينة « أوزه » ووصلت الموجة الإسلامية الزاحفة حتى ما كون وشالون وهناك تفرقت الحملة الحربية الإسلامية إلى فرقتين سارت الحملة الأولى نحو « ديجون » وبين « ولانجر » فاستولت عليها وسادت الحملة الثانية فى اتجاهها صوب « أوتون » مرة أخرى ولم يقف تيارهذه الحملة التى خرجت غازية فى سبيل الله إلا بالقرب من بلدة « سانس » على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس الحالية ، وعاد عنبسة بمن معه من جند الله بعد أن وصلوا إلى قلب فرنسا وغزا حوض الرون كله وتخطت القوات الإسلامية نهر اللوار وأصبحت على مسافة قصيرة جداً من نهر السين نفسه ، وبعد أن وصل عنبسه إلى هذه الأرجاء فى قلب أوربا الغربية عزم على العودة إلى الأندلس بسبب الاضطرابات التى كانت تسود الأندلس بين العرب أنفسهم وبين العرب والبربر وكانت هـذه الأسباب القوية هى التى حالت بين عنبسة وبين إتمام فتوحه الإسلامية فى فرنسا

وهناك أقوال كثيرة تذكر أن عنبسة لم يكن يريد من وراء هذه الغزوة الإسلامية الطويلة الزحف والاستقرار فى فرنسا بل إنما كانت حملته إلى أرض فرنسا، حملة قصد من ورائها التمهيد للحملات الإسلامية التى تأتى بعدها واكتشاف أماكن

الضعف فى تحصينات العدو ، وكان المسلمون قد استولوا على إقليم سبتمانية وعلى عاصمته أربونه واستقروا بها واتخذوها قاعدة ومركزاً للعمليات الحربية المتقدمة شمالا جبال البرانس وكان عنبسه قد أخذ بثأر السمح واستولى على مدينة قزقوشة ولكن عنبسة لم يكن حذراً فى اندفاعه فى سهول فرنسا ولذا فإن الأعداء قطعوا عليه خط العودة واشتبكوا معه فى معركة عنيفة بعد أن كمنوا له بين الجبال وفى الممرات الفاصلة بين فرنسا والأندلس وانتهت تلك المعركة باستشهاده وذلك عند محاولته العودة إلى الأندلس ووقف المد الاسلامى فى فرنسا عند هذا الحد مؤقتاً.

وينبغى أن نلاحظ هنا أن الحملة المؤمنة برسالة ربها العاملة على نشر دينها كانت جملة تشبه عقبة بن نافع الفهرى فى اجتيازه شمال افريقيا بسرعة مذهلة ووصوله إلى المحيط الأطلسى كانت غارة بعيدة المدى تشق البلاد الفرنسية من الجنوب إلى شمال وتطلع المسلمين على أحوالها وتعد لما بعدها ولو استقر عنبسه فى ليون مثلا أو فى إحدى مراكز فرنسا الوسطى لكان يمكن القول إنه فتح جنوب فرنسا ، بل كاد يفتحها كلها ، أما وقد عاد إدراجه لظروف الأندلس الداخلية ، بعد أن قطع نحو أكثر من ألف ميل شمال قرطبة فإن حملته الرائعة أوضحت الروية أمام المسلمين على حالة هذه البلاد وماهو الضعف الذى أصابها والانهيار الداخلى، على أنه مهما يكن القول فإن عنبسة بن سحيم الكلبى، ينفرد بين الفاتحين المسلمين بهذا الفخر بالوصول بالراية الإسلامية رأية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله إلى قلب أوربا واستولى على إقاليم واسعة لم يسبقه إليها فاتح إسلامى من قبل ومن بعد وأنها هى المرة الأولى فى تاريخ الدولة الإسلامية التى تصل فيها قواتنا إلى بعد لايزيد عن ثلاثين كيلو متر جنوب باريس حالية وكان مصير فرنسا قد تقرر فى أيدى المسلمين لولا الاضطرابات الداخلية فى الأندلس.

وتولى بعد استشهاد عنبسة الكلبى ، قيادة القوات العائدة جنوباً وكذلك أمور الأندلس « عذرة بن عبد الله الفهرى » وتذكر الروايات التاريخية الأوربية والاسلامية أن المسلمين قاموا بأعمال حربية خطيرة بعد استشهاد عنبسة مباشرة فى أرض فرنسا ، ونهض قادة المسلمين وعادوا إلى حوض الرون وغزوا بلاد

« الألبين » وإقليم « روبرج » و « وصفودان » و « ليقليه » وهذه الحملات كما ذكرتها الروايات على جانب كبير من الصحة ذلك لأن القائد المسلم المجاهد عبد الرحمن الغافقى، حينما قام وعبر جبال البرانس وجد المسلمون الذين يعيشون فى أرض فرنسا فى حالة طيبة وروحهم المعنوية عالية جداً ولو أن تقدمهم وقف عند أعمال عنبسة وهو الرجوع إلى الأندلس ، لما استطاع عبد الرحمن الغافقى أن يقوم بهذا العمل الاسلامى والحربى الكبير بالفتح فى بلاد فرنسا .

ثالثاً : إحساس الفرنجة بالمد الاسلامى وإستعدادهم لملاقاته :

كانت الغارة الاسلامية القوية والعنيفة التى قام بها عنبسة بن سحيم الكلبى فى نواحى فرنسا كلها واستيلاؤه على إقليم « بورجونيا » الذى هو جزء من إمبراطورية الفرنجة ، قد ألقى الفزع فى معظم الدوقيات الجنوبية والوسطى ، وشعرت امبراطورية الفرنجة أنها أمام خطر داهم لابد من أن يكتسح إمبراطورية الفرنجة كلها وبدأ واضحاً أن الحملة القادمة ستكون حملة حاسمة فى تقرير مصير هذه البلاد المترامية الأطراف ، وهو أن المسلمين لابد لهم من أن يواصلوا فتح باقى أنحاء أمبراطورية الفرنجة ومواصلة الزحف نحو الشمال ، وهكذا وقفت هذه الانتصارات الاسلامية العظيمة والزحف السريع والقوى لعنبسة الكلبى إلى أن يتحالف أبناء الشمال الأوربى تحت قيادة « شارل مارتل » وأن يتناسى الدوق أودد دوق أكوتيانية عداءه القديم لشارل مارتل وبدأ يعملا سوياً بمناصرة بعض الجيوش الأخرى لوقف المد الاسلامى الزاحف من الجنوب لاحتواء هذه الأقاليم فى دولة الاسلام الكبرى وذلك بكل ماوصلت إليه أيديها من وسائل حرب وأسلحة مختلفة ، وكانت الظروف فى ذلك الوقت تساعد على التحالف بين شارل مارتل والدوق أدوو فقد تولى عبد الرحمن الغافقى ولاية الأندلس (١١٢ هـ — ٧٣٠ م) وكان عبد الرحمن جندياً قوى الإيمان شديد الشكيمة والعزيمة ، قضى أيامه عاملا فى جيوش الاسلام الغازية فيما وراء البرانس وشهد كل الحملات الاسلامية التى اخترقت جبال البرانس لفتح أراضى فرنسا ، وكان يمتاز بشجاعة نادرة ومقدرة عظيمة على خوض المعارك والحروب وكان

من نوع عقبـــة بن نافع الفهرى ، النوع الذى تستهويه الغارات البعيدة المدى والضربات المدوية وكان من طراز الفاتحين الذين يرسمون خطط الفتح الثابت المستقر فيعمدون إلى مراكز المقاومة ويهاجمونها لكى يتم الفتح وتدخل البلاد فى حوزة الاسلام .

وكان عبد الرحمن قد أبلى بلاء حسنا فى موقعة طولوشة التى قتل فيها السمح بن مالك الخولانى وهو الذى قاد القوات الاسلامية بعد مقتله وعاد بها إلى الأندلس وكانت هذه الموقعة قد تركت فى نفسيته أثر عميقاً لذلك كان تواقاً لملاقاة الفرنجة، ومن ثم فقد أعلن عبد الرحمن الجهاد فى سبيل الله ضد الفرنجة والتصميم على فتح بلاد الفرنجة كلها لـكى تصبح ولاية إسلامية تجاور الأندلس شمالا ، ولـكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، إذا كانت الثورة قد انتفضت فى الشمال من الأندلس بقيادة زعيم مسلم من زعماء البربر هو عثمان بن أبى نعسه الخشعمى وتسمية الروايات الأجنبية « مونوس » وكان لما أحس بالظلم الواقع على بنى جلدته من البربر قام بالثورة وتحالف مع الدوق « أودو » ضد عبد الرحمن الغافقى والى الأندلس لأن الروايات تذكر أن عثمان « مونوس » كان قد تزوج ابنه الدوق « أودو » ثم أصبح التحالف بينهما واضحاً ولذا فإن عبد الرحمن جرد إليه الحملات حتى تم قتله وكان هذا يرتبط بالدوق « أودو » بمعاهدة صداقة فلما قتل مونوس شعر « أودو » بالخطر وحمس شارل مارتل والدول الشمالية على الأخذ بأهمية الاستعداد وتجميع الجيوش لملاقاة المسلمين الذين كانوا قد عقدوا العزم على الاستيلاء على فرنسا كلها وضمها لدولة الاسلام الـكبرى .

رابعاً : وقف المد الاسلامى عند ابواب ايوتيه :

عبر عبدالرحمن الغافقى جبال البرانس عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م وتذكر المصادر العربية والاسلامية أنه كان يقود قوات تقدر بسبعين ألف رجل أو مائة ألف مقاتل وكان أكثر هؤلاء من البربر لأن معظم العرب كانوا مشغولين بالمنازعات العصبية أو كان معظمهم قد توزع فى الأرياف ، وكان معظم العرب من القوات اليمنية وكان من بينهم من يسكنون جبال البرانس ، ولـكن عبد الرحمن لم يكن

رجلا سياسيا بمقدار ما كان قائداً حربياً وذلك لأنه قضى على ثورة « مونوس » ولم يستطيع أن يكسب قلوب البربر الذين كان يتألف منهم معظم جيشه ولو فعل ذلك لوصل المسلمون إلى قرب نهر السين وكان عليـــه أن يمضى إلى قلب الدولة الفرنجية .

لـكن « أودو » لما رأى وعلم بتلك الحشود القوية تأهب للدفاع عن مملكته وبدأ الفرنجية والقوط فى الولايات الشمالية من الأندلس بالتحرك لمهاجمة المواقع الاسلامية وكان عبد الرحمن يتوق للجهاد فى سبيل الله والعمل لاجتياح مملكة الفرنجه كلها ، فلما رأى الخطر يحدق بالولايات الشمالية من البلاد ، لم يرى بدأ من التحرك والسير نحو الشمال قبل أن يستكمل أهميته واستعداده العسكرى ، على أنه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيرة المسلمون إلى فرنسا لأنه كان يريد أن يكون فتح بلاد غاله على يديه واخترق جبال البرانس فى سرعة مذهلة وذلك من ممرات روشتفالة ولم يسلك الطريق المألوف الذى سار فيه المسلمون قبل ذلك بل سلك الطريق الذى يؤدى إلى اكوتيانية بلاد « أودو » مباشرة ولما وصل إلى تلك الأراضى عرج إلى وادى الردانة ، واستولى على مدينة آرل لخروج أهلها عن طاعة المسلمين وتوقفهم عن دفع الجزية ، ثم توجه إلى الغرب فهاجم الدوق « أودو » الذى كان قد تحرش بالمسلمين فى الولايات الشمالية بعد مقتل مونوس واستطاع أن يهزمه هزيمة قاصمة فقد فيها عدداً كبيراً من قواته ودخل المسلمون عاصمته « بردال » ثم توجهوا إلى مدينـــة تور على نهر اللوار واستطاعوا الاستيلاء عليها ، وبعد ذلك رأت قوى النصرانية بما وصل إليها من إمدادات عسكرية من جهات مختلفة ، بعد أن انسحب « أودو » بقواته شمالا لينضم إلى قوات شارل مارتل والذى كان قد بدأ يشعر بالخطر الاسلامى منذ أن استولى المسلمون على مقاطعة « بورجوينا » وصعدوا مع النهر حتى قاربوا « اللوار » واستعد شارل مارتل لملاقاة الجند الاسلامى وحشد ما وصلت ، إليه يده من قوات وكان جنود الله ، جنود المعسكر الاسلامى فى حالة معنوية عالية لا ينقصهم الإيمان وكيف وقد خرجوا من الأندلس يريدون النصر أو الشهادة وكان أغلبهم ذو خبرة بالقتال فى هذا الإقليم ولـكن كانت هناك أمور تحول دون امتداد المد الاسلامى إلى الشمال والتوسع فى الأراضى الواسعة الواقعة شمال جبال البرانس ،

المهم تقابل جيش الإيمان بقيادة عبد الرحمن الغافقى وجيش الكفر بقيادة شارل مارتل فى شمال مدينة « بواتيه » فى اتجاه مدينة تور على الطريق الرومانى القديم بين البلدتين وحدثت معركة بلاط الشهداء واستشهد القائد الاسلامى عبد الرحمن الغافقى وانسحب المسلمون من أرض المعركة .

خامسا : الحضارة العربية الاسلامية :

لم يكن بقاء العرب والمسلمون فى جنوب فرنسا لعدة قرون إلا ليترك أثره القوى والواضح فى البلاد فقد ترك المسلمون أثرا عميقا فى اللغة الفرنسية وفى الدم وذلك لاستقرار أناس كثيرين منهم بالقرب من المدن التى استولوا عليها وفى ذلك يقول أحد الباحثين الفرنسيين أنفسهم أن الدم العربى لازال متغلبا فى جنوب فرنسا ولا سيما فى برست وغيرها فى المدن وفى جبال الإلب وفى إقليم السافو إذ نرى إلى اليوم أناسا سحنتهم عربية صرفة ولهم لغة خاصة ويسميهم أهل تلك الارجاء بالشرقيين ولم يزل هؤلاء فى عزلة عن الفرنسيين ولا يتزوجون من غير جماعاتهم ومن عاداتهم ألا يقيموا المراقص فى حفلاتهم ويتحجب معظم نسائهم وتحمل الكثير من أسمائهم اسم الله ظاهرا كعبد الله وفتح الله وهم يحفظون أنسابهم ويفتخرون بأنهم من سلالة العرب الفاتحين لهذه الارجاء والتى خضعت لنفوذ أجدادهم وسيطرتهم فى عصر الاسلام الزاهر فى القارة الأوربية ولقد وضع العرب فى الأراضى الفرنسية الخاضعة لنفوذهم نظاما إداريا لإدارة هذه النواحى من إمبراطورية الفرنجة وكان المسلمون أكثر ميلا إلى التسامح مع سكان هذه النواحى طمعا فى كسبهم إلى جانبهم وطمعا فى إقناعهم باعتناق الدين الاسلامى والخروج من دين الوثنية الذين يعيشون عليه ، وكانت الحاميات الاسلامية فى جنوب فرنسا تسكن فى القلاع والأبراج التى بنيت لهذا الغرض وذلك لحماية المناطق الواقعة شمال جبال البرانس والواقعة تحت سيطرة المد الإسلامى ، وكانوا يقيمون بإقرار السلم والنظام بين أهل تلك النواحى وأيضا جمع الضرائب والأموال والخراج طبقا لنص الشريعة الإسلامية الغراء .

وقد ترك المسلمون لأهل تلك النواحى فى فرنسا حرية ممارسة شعائرهم

الدينية وعدم إجبارهم على الدخول فى الدين الإسلامى لأنه لا إكراه فى دخول دين الإسلام ، بل كانوا يحاولون كسب رجال الدين المسيحى إلى جانبهم ، ولكن هناك آراء غربية تقول بأن المسلمون لم يمتلكوا الأراضى الواقعة فى تلك المناطق ولم يشتغلوا بالفلاحة والزراعة وذلك لاضطراب الأحوال المستمرة فى تلك الأرجاء وعدم استقرار الأراضى فى أيديهم وذلك لأن سكان هذه الأرجاء من المسلمين ظلوا يقيمون فى المدن أو القرى الكبيرة أو يخرجون للغزو فى الشمال ومن هنا لم تسنح لهم الفرصة للانتشار فى هـــذه الأراضى الواسعة وامتلاكها والاختلاط بأهل تلك النواحى ونشر تلك الرسالة الإسلامية الخالدة بين أهلها وتعريبهم ، وليس معنى هذا أنه لم توجد أعداد كبيرة من سكان تلك الأرجاء قد دخلت فى دين الله أفواجا بل العكس فإن سكان هذه البلاد قد أحبوا المسلمين وتفانوا فى خدمتهم وكرهوا شارل مارتل وحكمه وساعدوا المسلمين على تدعيم مواقعهم فى تلك الأرجاء وقدموا لهم كل التسهيلات اللازمة وأنهم دخلوا فى الاسلام كافة وعملوا على تعلم اللغة العربية ولو طال بقاء المسلمين فى هذه الأرجاء مثل الأندلس لرأينا من بينهم العلماء والفقهاء والقضاة ورجال الدين الفرنسيين وكما حدث فى الأندلس كان سيحدث بينهم .

ولكن هناك آراء تقول أن سكان شمال البرانس قد دخلوا فى دين الله أفواجا وأن هناك جماعات قد اختلطت بالعرب واعتنقت الدين الاسلامى واتخذته عقيدة لها والأكثر من ذلك فإن جهود المسلمين لم تكن قليلة ولا عابرة وإنما كانت جهوداً مضنية قصدوا من ورائها مد نداء الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله على غرب أوربا ، بل القارة الأوربية كلها وأنهم لم يدخلوا فرنسا غزاة ناهبين ولا حكاماً طامعين ولا سياسيين محترفين كما تقول بذلك الروايات النصرانية ولم يضعوا الغنائم جل همهم والأسلاب مقصدهم ، بل دخلوها أصحاب رسالة وعقيدة وعاملين على نشر رسالتهم السمحة بين أهل تلك الديار وإدخال هذه البلاد فى دائرة المد الإسلامى وتحويل أهلها إلى أمة مسلمة تشارك فى بناء الحضارة الإسلامية كذلك فقد أدخل المسلمون كثير من الصناعات التى لم تكن معروفة فى فرنسا من قبل وقد أشار إلى ذلك غوستاف لوبون فى كتاب حضارة العرب ومنها صناعة البسط

إلى أبوستون والورق والنسيج والصباغة والدباغة وصناعة الجلود وأنهم كانوا ذا أثر فعال فى تمدين الجزء الجنوبى من أرض فرنسا وأنه تحول بسرعة إلى التقدم والحضارة فازدهرت فيه العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة، بل لم يقتصر فضل المسلمون على ترقية العلوم بما اكتشفوا بل بما نشروا من معرفة وثقافة وحضارة وأقاموا من جامعات وألفوا من كتب فى مختلف المعارف الإنسانية التى كان لها الأثر البالغ فى فرنسا بل فى أوربا بأكملها وأنهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية بما فيها فرنسا لعدة قرون ولو بسط المسلمون لواء الإسلام على فرنسا كلها لتغير وجه القارة نهائياً فى ذلك الجزء من العالم ولسادت الحضارة الإسلامية فرنسا كلها كما سادت الأندلس ، وبالنسبة للغة العربية فإنها أثرت أثراً عميقاً فى اللغة اللاتينية وتركت لغة القرآن الكريم أثراً مهماً فى اللغة الفرنسية نفسها وأن اللهجات السائدة فى ولايات أفرون وليموزين الفرنسيين بهما كثيراً من الكلمات العربية لاسيما أسماء الاعلام فإنها ذات سمة عربية وكذلك أسماء بعض الأماكن .

وقد ذكر أحد مؤرخى الغرب « سيديو » قوله أنه من الطبيعى أن تقتبس فرنسا وإيطاليا من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط الشىء الكثير فقد اقتبس أهل فرنسا كثيراً من الاصطلاحات التى كانت مستخدمة فى البحرية الإسلامية وكذلك تعابير وأغانى الحرب ، وأيضاً أخذوا عن العرب استعمال البارود الذى يستخدم فى المدافع والقنابل والحراقات والقذائف ، وقد أخذوا عن حكومات بغداد وقرطبة والقاهرة معظم التعابير الإدارية ، وقد قلد ملوك الأسرة الثالثة الفرنسية العرب فى كل شىء ، فأخذوا عنهم معظم اصطلاحات الصيد وكذلك اقتبسوا كثيراً من الاصطلاحات العربية وأسماء الكواكب وعلوم الرياضة والكيمياء والتاريخ الطبيعى ، ومن هنا فإنه يمكن القول أن المسلمين قد عملوا على نشر المعرفة الاسلامية حولهم لبعض الأساليب والفنون التى لم تكن تخطر ببال الفرنجة بعد ، وإن كثيراً من المؤثرات قد تقبلتها فرنسا عن الاسلام ، وإن فرنسا اقتبست كثيراً من الأشياء التى تدين بها للاسلام ومنها الفن الاسلامى وخاصة الزخرفة داخل المبانى وخارجها وكذلك ظهر أثر الفن الاسلامى فى فن

البناء وكذلك وجد فى جنوب فرنسا عدداً من الآثار المدنية الجليلة والصنائع العسكرية ذات النفع العام كالجسور والأقبية المائية المعلقة .

وبهذا فإن الطابع الاسلامى الذى أبقاه العرب والمسلمون الفاتحون لهذه الأنحاء من فرنسا كان ذا أثر عظيم فى رقى البلاد وتحضرها وأنهم شاركوا مشاركة فعالة وعظيمة فى شئون التهذيب العقلى الغربى، وأن آثار الحضارات العربية العظيمة فى فرنسا ، تفوق الحضارات التى تركتها الشعوب الجرمانية وذلك لتفوق العرب والمسلمين فى الحضارة فى ذلك الوقت لأنهم كانوا أساتذة الحضارة العالمية .

كذلك فإن المسلمين قدموا الكثير من الأعمال العلمية فى فرنسا والتى خدمت الحضارة العالمية ولو شاءت الإرادة الإلهية للمسلمين بأن يتقدموا للاستيلاء على كل فرنسا وطال مقامهم بأرضها لكانوا أسهموا إسهاماً أفضل فى تحضر فرنسا ورقيها .

ومن هنا فإنه يحق لنا نحن الأحفاد أن نفخر بمآثر الأجداد وآثارهم الحضارية فى فرنسا وبما قدموه من أثر حضارى فى تلك البقعة من القارة الأوربية .

الاسلام والمسلمون فى فرنسا

بعد معركة بلاط الشهداء

ذكرنا أن المسلمون تقدموا فى الأراضى الفرنسية يرفعون راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ليرفعوها خفاقة عالية فوق أرض القارة الأوربية وأنهم وصلوا فى زحفهم فى تلك الأراضى الفرنسية حتى وصلوا إلى مدينة سانس على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس عاصمة فرنسا الحالية وأنه فى سهول فرنسا الواسعة دارت معركة بلاط الشهداء أو معركة إيوانية بين القائد المسلم الشجاع الشهيد عبد الرحمن الغافقى وبين قادة الشرك بقيادة شارل مارتل وشاءت الإرادة الإلهية أن تكون هذه المعركة حاجزاً دون اندفاع المد الاسلامى ليشمل القارة الأوربية كلها ولكن رغم وقوع هذه المعركة وتخوف المسلمين من الاندفاع فى سهول

فرنسا لفترة قصيرة ، ورغم قصر الحديث عن هذه المعركة فى المصادر العربية حتى أنه لم يأت ذكرها إلا فى سبعة سطور فى مصادر عربية متفرقة ، ورغم إفاضة المصادر النصرانية فى الحديث عن هذه المعركة وعن نتائجها ، وتوقف المد الإسلامى عن السيطرة واحتواء القارة الأوربية .

إلا أننى هنا سوف أبين للقارىء العربى والمسلم جزء من كفاح الأجداد على أرض فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء ، لنتبين كيف أن الغزو الإسلامى لم يتوقف فى سهول فرنسا الجنوبية ، بعد تلك المعركة ، وإنه لم يكن فى قوة اندفاعه كما كان فى العهد السابق للمعركة ، وتذكر المصادر أنه بعد استشهاد عبد الرحمن الغافقى وعودة القوات الإسلامية إلى الجنوب فإن الجموع العائدة من أرض المعركة اتجهت إلى أربونة ومرت على مقربة من جبرية ، وغزت فى طريقها بلدة ليموزين ودمروا مدينة سولتيال وحين أحسوا أن أحداً من النصارى لا يتبعهم تمهلوا فى السير واستجمعوا صفوفهم واتجهوا صوب الأندلس ، وكان من أثر هذه المعركة أن تعجل الوالى العربى على أفريقيا عبيدة بن عبد الرحمن بتولية عبد الملك بن قطين الفهرى والياً على الأندلس وكان أول عمل اهتم به عبد الملك هو السير إلى الأراضى الفرنسية بعد أن وحد كلمة جنوده وجمع قواتهم وذلك لإقرار أمر المسلمين بتلك الأنحاء ، وأنه توجه بنشاطه إلى النواحى الشمالية من الأندلس فهاجم أرغون وفيرة ، وأقر الأمن والسلام بهما ثم عبر جبال البرانس ووصل إلى مدينة لانجدوك واهتم ببناء المعاقل والحصون وحصن القلاع القديمة التى كانت لا تزال بأيدى المسلمين وأمدها بالرجال والعتاد وقام ببناء قلاع جديدة أخرى وكان أهل سبتمانيه قد خشوا أن يقعوا تحت سيطرة شارل مارتل فاستعانوا بالعرب المتحصنين فى أربونه ، وحالفوا جند الإسلام وثبت المسلمون فى ولايتى بورجوينا وليون ، بعد أن أمرهم قد تحرج وعدوا كالمحصورين فى قلاعهم وكان قائد جيش المسلمين فى ذلك الوقت فى أربونة وباقى ولايات فرنسا الجنوبية رجلا مسلماً قوى العقيدة والإيمان استطاع الثابت فى تلك الأنحاء بما تبقى له من جيش المسلمين وتطلق عليه المراجع النصرانية يوسف وأنه ربما يكون يوسف الفهرى الذى ستؤول إليه ولاية الأندلس فيما بعد والذى سوف يعمل على توطيد النفوذ الإسلامى فى الأجزاء الجنوبية من فرنسا .

غزوات يوسف الفهرى :

كان يوسف قد جمع قواته وسار فعبر نهر الردانه واستولى على مدينة أرل وأطلق يد جنده فيها ثم استطاع أن يتوغل فى أرض بروفانس واستولى بعد حصار طويل ظهرت فيه شجاعة الجند المسلم وبسالته وحرصه على نشر الرسالة الإسلامية على بلدة « فرنا » ثم توجه بعد ذلك نحو أبنسون واقتحمها على أهلها وتم له الاستيلاء عليها ووصلت جيوش المسلمين إلى نهر « الديوراس » ووقفوا عند هذا الحد بعد أن استعادوا بقيادة يوسف هذا ، جزء عظيما من الأراضى الفرنسية ، كانوا قد فقدوه بعد معركة بلاط الشهداء وخرج من تحت السيطرة الإسلامية وهكذا ثبتت أقدام المسلمين فى هذا الجزء من فرنسا ولم يجرؤ أحد على منازعتهم السلطان فيها .

ونقف هنا وقفة قصيرة لكى نرد على الذين يجدوا معركة بلاط الشهداء من المؤرخين النصارى ونقول لهم إن شارل مارتل لو انتصر نصراً حاسماً كما تقول مصادرهم على المسلمين فما الذى منعه من التقدم نحو الجنوب ومطاردة المسلمين الذين انسحبوا جنوباً إلى الأندلس ، والاستيلاء على باقى الممتلكات الإسلامية فى جنوب فرنسا ، ولو أنه كسر شوكة المسلمين كما تقول تلك المصادر الكارهة للاسلام ورسالته السمحة فكيف استطاع عبد الملك الفهرى ومن بعده يوسف الاندفاع إلى أرض الشمال لتوطيد نفوذ المسلمين فى هذه الأراضى ، وما الذى دفع جند أربونه للسير إلى الشمال والاستيلاء على أراضى جديدة فى فرنسا وفتح تلك الأقاليم مرة أخرى ، ولم يستطع شارل مارتل أن يحرك قواته أثناء هذا التقدم الإسلامى فى جنوب إمبراطورية الفرنجة ، ولم يفكر فى السير للقاء الزحف الإسلامى القادم من الجنوب ، وعلى الأقل إرسال إحدى فرقه الحربية لمقاتلة المسلمين ، وذلك مع فهمه الشديد لحب ضم الأراضى وتوسيع إمبراطوريته وطمعه فى توطيد سلطانه ، وقد يكون هذا من الأسباب التى دفعت المسلمين إلى أخذ زمام المبادرة والقيام بتوطيد النفوذ الإسلامى فى الأراضى التى تم الاستيلاء عليها من قبل .

ونقول أن الذى دفع شارل مارتل إلى انصرافه على مقاتلة المسلمين وتجنبه اللقاء معهم بعد معركة بلاط الشهداء هو أنه ذاق مرارة الحرب معهم وعرف قوة إيمانهم وجلدهم وصبرهم وقدرتهم على القتال ، فصار بعد ذلك يتجنب الدخول فى معركة واسعة معهم ويخشى اللقاء معهم فى معارك كثيرة وقد رأيناه يتحوف من تتبعهم وأنه لولا حركة الدوق « أودو » ومهاجمته معسكر الغنائم الذى كان يقع خلف الجند الاسلامى فى معركة بلاط الشهداء لما استطاع الفرنجة أن يوقفوا المد الاسلامى فى تلك المعركة عند هذا الحد ولتغير وجه التاريخ فى القارة الأوربية كلها . وكان عبدالملك الفهرى قد اطمأن إلى شجاعة قائده يوسف فى أربونه فوجه جهوده إلى إمارات البرانس الشمالية ليكسر شوكة أهلها ، بعد أن تمردوا على الحكم الاسلامى بعد معركة بلاط الشهداء وقد كللت جهوده بالنجاح وتم له سحق التمرد .

غزوات عقبة :

كان عقبة هـذا رجلا مجاهداً مثله مثل عبد الرحمن الغافقى وكان مسلماً صلباً قوى الايمان والعقيدة عادلا متفانياً فى القيام بأعباء منصبه الجديد فصرف جهوده أولا إلى إقرار أمور البلاد وإشاعة العدل بين الناس ولما تم له ما أراد اتجه إلى الغزو ، وكان المسلمون بعد أن ثبتوا أقدامهم وفرضوا نفوذهم فى إقليم بروفانس قد تحصنوا فى المدن الكبرى وحولوها إلى قلاع ، ثم ظلوا يراقبون الأحداث حتى عبر إليهم عقبة جبال البرانس فنهضوا معه رغبة فى الجهاد والاستشهاد ، وساروا نحو دوقية واستولى عقبة عليها ، ثم استولى على مدينة « سان بول تردا » « ودونزيز » ثم اتجه نحو الشمال فى جرأة وحزم وتصميم على القتال ودمر جند الشرك ، فاستولى على إقليم فالانس وأيضاً مدينة فيتين وكان من معه يجاهدون ولا يجدون فى طريقهم مدينة إلا واستولوا عليها ورفعوا فوقها راية الاسلام ، راية لا إله إلا الله محمد رسـول الله ، صعد عقبة نهر ردانه حتى أعاد فتح إقليم بورجونيه كله واستولى على ليون من جديد وامتد جناح الفتوحات الاسلامية شرقاً ورفرفت رايتهم على إقليم دوفنين حتى وصلت إلى « بيدمت » فى شمال إيطاليا وبدأ المسلمون يستعيدون مراكزهم من جديد فى أرض فرنسا كلها .

تحرك شارل وفشله امام المسلمين :

أحس شارل مارتل بالخطر مرة ثانية بعد أن تقدم المسلمون من جديد فى أرض فرنسا الجنوبية ودعموا مواقعهم السابقة لمعركة بلاط الشهداء وكان شارل قد انتهى من حروبه مع أعدائه فى شمال البلاد، ومن ثم فقد تفرغ للسير نحو الجنوب، واستطاع أن يحشد قوات عسكرية كبيرة لدفعها إلى الجنوب وولى أخاه شلد براند قيادتها على أن يساعده ملك بيدمنت الإيطالى الذى بدأت أراضيه تدخل فى حوزة الاسلام والمسلمين وذلك لوقف زحف المسلمين إلى الشمال ووصل شلد براند إلى ابنسيون وكان المسلمون قد أحسنوا تحصينها وحشدوا فيها الرجال والعتاد فعجز عن فتحها وعن كسر مقاومة جند الله بها ، فاستنجد بأخيه شارل نفسه بعد أن استحالت عليه المدينة . وجاء شارل بجند كثير وشدد الأخوان الحصار المحكم على المدينة وأمام هـذا الضغط الطويل والعنيف واستمرار الحصار وقلة المؤن والعتاد وعدم وصول المدد الاسلامى من الجنوب لهذه المدينة المحاصرة ، فلم يستطع المسلمون الاستمرار فى الدفاع عن ابنسيون ولاسيما وقد تأخر وصـول الامدادات الحربية من الأندلس ، ومع هذا فإنهم رفضوا تسليم المدينة واستماتوا فى الدفاع عنها ودافعوا دفاع الأبطال ، ولـكن الفرنجـــة استطاعوا فتحها واستخدموا كل وسائل القتل والحرق والهدم ضد المدينة وسكانها من المسلمين ، وجاءت إلى المدينة جيوش جرارة من الفرنجة أزالت كل أثر للمسلمين فى تلك المدينة، وبعد ذلك تقدم جيش الفرنجة إلى الجنوب نحو أربونه يقوده شارل مارتل صاحب معركة بلاط الشهداء ومعه أخيه وقوات ملك بيدمنت الإيطالى وذلك على معقل المسلمين الرئيسى فى فرنسا وكان قائد جند المسلمين فى تلك الأنحاء فى ذلك الوقت رجلا مسلماً اسمه « هرثمه » جمع قوات المسلمين حوله وحصن المدينة واستعد للدفاع عنها حتى آخر جندى مسلم وشدد شارل الحصار على مدينة أربونه بقوات كبيرة ودافعت حاميتها الاسلامية عن أرضها ومدينتها دفاع الأبطال ، فلم يدرك شارل وجنوده منها أى منال وزعم أنه شدد الحصار إلا أنه اضطر إلى رفع الحصار والتقهقر أمام الدفاع الاسلامى القوى وعاد إلى الشمال بعد أن فشل فى فتح مدينة أربونه واستطاع المسلمون أن يكبدوه خسائر فادحة عند انسحابه

وذلك بسبب مهاجمتهم مؤخرة جنده وأسر العديد من هذه القوات ، ويبدو أن نصارى هذه النواحى قد شجعوا المسلمين على الدفاع عن المدينة وأمدوهم بالمساعدات وعملوا على عدم مساعدة شارل مارتل فى هذا الهجوم وبذلك فإن شارل أراد أن ينتقم من أهل فرنسا ليعزى نفسه عن الفشل أمام حصون أربونه القوية ، فخرب حصون النصارى فى الجنوب وخرب مدينة بيزنته واجدة ونيمة وكانت هذه من المدن الزاهرة فى الجنوب فى ذلك الوقت ، وهـذا يدل على أن نصارى جنوب فرنسا كانوا يفضلون حكم المسلمين على حـكم شارل مارتل والفرنجة .

ويضيف أحد مؤرخى الغرب واسمه « رينو » ذلك فيقول أن شارل مارتل كان مكروهاً من أهالى فرنسا الجنوبية وذلك لأنه كان يريد أن يضمهم إلى إمبراطوريته وإن أهالى هذه المناطق كانوا يصفون القادمين من الشمال بأنهم برابره متوحشون بينما هم أحفاد شعب الامبراطورية الرومانية ، وأنهم أحبوا المسلمين لما كان يتصفون به من العـــدل والتسامح والحكم بين القوم بما جاءت به شريعتهم الاسلامية وكان قائدهم فى جنوب فرنسا عقبة بن الحجاج السلولى ، رجلا اشتهر بالعدل وإيثار الحق وتذكر المصادر النصرانية نفسها عن عقبة هذا أنه كان الرجل الذى إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يدعوه إلى الاسلام ويبين له فضائله حتى يحببه فيه فيتم اعتناقه ، فأسلم على يديه كثيراً من النصارى ، وبذلك يبين لنا أن عقبة ومن عمل تحت إمرته من المسلمين كانوا يؤثرون الرفق مع الأسرى وهذا يدل على حسن تصرف المسلمين مع أهالى فرنسا الجنوبية وانضمام هؤلاء إلى المسلمين ومؤازرتهم إياهم على ملك الفرنجة والدوق أودو وغيرهما من أجلاف الجرمان ، وليس أدل على تحالف نصارى الجنوب مع المسلمين من أن الدوق ماردنت دوق إقليم بروفانس قد عاد إلى بلاده بعد فشل حملة شارل مارتل فى فتح مدينة أربونه وعقد تحالف مع المسلمين واستولى على إقليم بروفانس بأكمله ولكن المسلمين لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذا التحدى الذى واجهوه بعد انسحاب شارل مارتل بل أنهم جعلوا كل جهودهم بعد ذلك فى معاودة الاستيلاء على إقليم بروفانس ودوفينه من ناحية البحر واستخدام القوات البحرية فى السيطرة على

تلك الأنحاء وقد حالفهم الحظ بموت شارل مارتل واضطراب الأمور فى مملكته بعد موته وظهور التنافس بين أبنائه ، لكن الظروف لم تساعد المسلمين على الاستفادة من هذه الفرصة استفاده كاملة ولاحتى انتهازها ، ذلك لأن فتنة البربر فى الأندلس وأفريقية كانت إذ ذاك على أشدها ، فتوقف المسلمون عن إمداد قواتهم الاسلامية فيما وراء جبال البرانس وكان عقبة بن الحجاج قد توفى فى صفر ١٣٢ هـ يناير ٧٤١م وصار الأمر مرة أخرى إلى عبد الملك بن قطن الفهرى وكان هذا من طائفة اليمنية ولقد كان من أثر تعصبه لبنى قبيلته أن حدثت ثورة هوجاء عمت معظم أنحاء الأندلس وقد كان من أثر هذه الثورة أن قتل عبد الملك الفهرى وذلك سبب النزاع بين العصبيات العربية .

اسباب ضعف المسلمين فى فرنسا :

كانت قيادة القوات الإسلامية فى أرض فرنسا قد صارت بعد هرثمة إلى عبد الرحمن بن علقمة اللخمى وكان هذا يمنياً متعصباً فلما سمع بمقتل عبد الملك بن قطن وهو من بنى جلدته ، قرر حشد كل قوات فرنسا شمال جبال البرانس والتى تقدرها المصادر النصرانية بمائة ألف رجل ، وسار بها لمساعدة أبناء عبد الملك فى الاستيلاء على السلطة وحكم الأندلس ، وبذلك ضعف شأن المسلمين فى فرنسا ، وكان هذا التحرك العسكرى بقوات المسلمين إلى الأندلس من أقوى الأسباب التى أدت إلى زوال سلطان المسلمين فى تلك البقاع ، فأما وقد انصرف إلى الأندلس وألقى بنفسه فى الصراع الدائر على أرض الأندلس بين الفئات المتحاربة فيما بينها ، فقد أفقده هذا خيرة جنده فى هذا الصراع وكانت هذه الصراعات من الأسباب القوية التى أضاعت أمل المسلمين فى الثبات فيما وراء البرانس ، وكان من جراء هذه الصراعات والتحركات العسكرية الإسلامية من فرنسا أن تخلص سكان مدن سبتمانيه مثل بزيه ونيمه ومجلونه من الحكم الإسلامى وقامت بها حكومات محلية من أهلها وكذلك حدثت بالنسبة لإمارات البرانس مثل كينزيه ونبرة أن خلصت طاعة المسلمين وصار أمر أهلها بأنفسهم .

ولكن عندما استقر الأمر بالأندلس ليوسف الفهرى فإنه أرسل ابنه

عبد الرحمن إلى النواحى الشمالية من البرانس لإقرار أمر الاسلام بها ولكنه لقى مقاومة عنيفة وكانت المواصلات قد قطعت بين جنـــد المسلمين فى أربونة وبين المسلمين فى شمال الأندلس فطمع فيهم فافر بن أودو دوق اكوتانيه وكان عبد الرحمن اللخمى قد عاد إلى أربونه بعد هزيمته فى الأندلس ولكن أمره كان قد ضعف بسبب مافقده من جنـــد فى حرب العصابات العربية فى الأندلس .

(أنظر إبراهيم طرخان ، المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ص ١٥٨ إلى ص ١٦٨) .

ابن شارل مارتل وإنـكسار المد الاسلامى :

كانت الأمور قد استقرت فى شمال فرنسا ليبنين بين شارل مارتل بعد أن استطاع أن يقضى على كل المنازعات ويوطد دعائم ملكه فى الشمال ومن ثم فإنه عمل كل جهدة على إنهاء الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا وخاصة فى أربونه فتقدم بقواته لحصارها ، وحاصرها فترة طويلة من الزمن ولكنه لم يلبث أن استبان مناعتها وقوة إيمان رجالها وعزيمتهم فى الدفاع عن عقيدتهم وصعوبة الاستيلاء عليها ، وكيف وقد فشل والده شارل مارتل الذى مجدته الأساطير النصرانية ، باعتبارة صاحب انتصار فى معركة بلاط الشهداء ، فتركها وعاد إلى الشمال ولكنه ترك أحد قواده ليمضى فى الحصار ودارت الحرب بين المسلمين وهذا القائد ولكنه لم يلبث أن قتل وفر باقى جنوده بعد أن شهدوا مقتل قائدهم وتركوا من ورائهم معداتهم وأمتعتهم وكانت هذه غنيمة سهلة بين أيدى المسلمين ، ونجا المسلمون ومدينتهم بعد أن أمدهم الله بعونه وقويت بهذا الانتصار شوكة الاسلام شمال جبال البرانس ورجع الفرنجة عن أربونه ولم يتقدم إليها جندى فرنجى طوال سبع سنوات وكان بمقدور المسلمين أن ينتهزوا هذه الفرصة ويدعموا وضعهم ويستفيدوا من هذا الزمن فى الانصال بإخوانهم سكان الأندلس ليمدوهم بالرجال والعتاد ولكن شيئاً من

هذا لم يحدث، ولكن فى تلك الفترة ، تغيرت الظروف السياسية فى المشرق العربى وقامت الدولة العباسية ورحل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وتولى أمورها وظلت حامية أربونه تقوم بالدفاع عن نفسها معتمدة على الله وعلى ما لديها من جند قليل وعتاد دون أدنى أمل فى وصول نجدات من مسلمى الأندلس إليها ، وانشغل ابن شرلمان بالثورات القائمة فى بلاده وفى محاولة إخضاع بعض دول الشمال الأوربى ، وظلت أربونه وماحولها من مدن سبتمانيه ثغراً إسلامياً يقوم للأندلس الإسلامى كالدرع الحصين الذى يرد كيد الأعداء ، دون أن يفطن أهل الأندلس إلى هذا الدور الخطير الذى يلعبه هؤلاء المسلمون المنعزلون فى هذه البقعة من أرض فرنسا والذين يحيط بهم الأعداء من كل جانب ويترقبون الفرصة المواتية للانقضاض عليهم بعد أن تأكدوا من عزلتهم عن إخوانهم المسلمين فى الأندلس وكان بعض أهالى مضايق جبال البرانس قد بسطوا نفوذهم على هذه المضايق وبذلك تم انقطاع الصلة معهم ومع الأندلس .

ولكن عبد الرحمن الداخل ، وبعد أن استتبت له الأمور بالأندلس بادر بالإسراع بإرسال قوات إلى هذه النواحى التى كانت معزولة عن المسلمين بالأندلس، ولكن رجال العصابات النصرانية فى ممرات البرانس ، حالت دون وصول المدد الاسلامى المرسل من الأندلس إلى جنود أربونه وماحولها فى جنوب فرنسا وعادت الحملة الاسلامية أدراجها إلى الأندلس بعد أن فشلت فى الاتصال بالمسلمين فى الشمال، وهكذا تركت أربونه وشأنها ولم يفكر أحد فى نجدة أهلها واستغلال موقعها فى توسيع رقعة الأراضى المحيطة بها والتى بذل المسلمون تضحيات كبرى للتمكن من تلك الأنحاء ودافعت حامية أربونه عن وجودها دفاعاً قوياً دام قرابة الثلاثين عام وكان من الطبيعى أن تضعف حاميتها إلى حد لاتستطيع معه الثبات أمام هجمات الفرنجة المتوقعة، والواقع أن حيلولة عصابات البرانس دون وصول المدد الاسلامى الذى أرسله عبد الرحمن الداخلى عام ١٤٠ هـ إلى تلك الأنحاء جعلت نصارى جنوب فرنسا يتأكدون أن حاميه أربونه وغيرها من الحاميات الصغيرة فى المعاقل الاسلامية فى سبتمانيه قد باتت وحيدة ومنعزلة وأنه بمرور الزمن فإن أمرها يزداد ضعفاً .

ولم يأت عام ١٤١ هـ / ٧٥٩ م حتى شعر أهالى هذه البلاد من النصارى أنه باستطاعتهم إخراج المسلمين عن تلك الإقصاع فأرسل الفرنجة قوات كبيرة قاموا بمساعدتها بالإنقلات والتمرد على الحاميات الإسلامية على حين غرة وفتحوا أبواب المدينة للقوات الفرنجية القادمة من الشمال وعمل بنين بن شارل مارتل على إرسال عدد آخر إلى أربونه لأنه رأى أن الفرصة قد حانت للقضاء على المعاقل الإسلامية وبذلك فإنه استطاع أن يقضى على ما بقى من أمل لدى المسلمين فى البقاء فى أربونه وهكذا ضاع هذا المعقل الإسلامى القوى الحصين بعد أن ظل فى أيدى المسلمين فترة طويلة من الزمن يؤيد سلطانهم ويؤكد قوتهم على جنوب فرنسا ومعظم نواحى غالة .

ولكن بقيت بعد ذلك جماعات صغيرة من المسلمين تسيطر على بعض نواحى دوقيه « دوفتيه وكونستيه وفيسى » واعتصمت منهم جماعات فى شعاب جبال الألب الغربية وظلت هذه الجماعات تقيم فى تلك الأرجاء فترة طويلة من الزمن ، بل إن المصادر الأجنبية نفسها تذكر أن هؤلاء المسلمين قد استولوا بعد ذلك على مدينة « جرنيوبل » وقد يكون ذلك كرد فعل على سقوط مدينة أربونه فى أيدى الفرنجة فاستطاع المسلمون السيطرة على تلك المدينة ، وقد ظلت هذه الجماعات الإسلامية متحصنة فى حصونها مدة لا تزيد عن مائة وثلاثين عاماً ، بعد سقوط أربونه المعقل الرئيسى والقوى فى الشمال فى أيدى الفرنجة وقد صلها المدد والعون الإسلامى من جزيرة صقلية بعد أن سيطر المسلمون عليها وفتحها حكام بنى الأغلب فى تونس .

وقد كان لسقوط أربونة أثر كبير فى ضعف شوكة الإسلام والمسلمين فى جنوب فرنسا ، إذ بسقوطها رفعت الولايات النصرانية فى جبال البرانس رأسها وقوى أمرها واستمدت العون من فرنسا وكانت هذه هى البداية بداية الانهيار الإسلامى فى الأندلس ، إذ بدأت حركة المد النصارى فى شمال الأندلس تتسع وتقوى بمساعدة دول الشمال الأوربى .

ولم تكن هذه المعارك التى دارت رحاها فى سهول فرنسا ولا سقوط الحصون

الإسلامية فى جنوبها هى التى منعت المسلمين من العودة إلى هذه الأنحاء والإصرار على الفتح ونشر العقيدة الإسلامية فى ربوعها وإنما الذى أوقف المد الإسلامى فى فرنسا وباقى الدول الأوربية فى ذلك الوقت هم المسلمون أنفسهم بما نشب بينهم من فتن عصبية بين العرب أنفسهم من يمنية وقيسية وبين العرب والبربر من ناحية أخرى ، وما صرفهم عن مواصلة الفتوح الإسلامية فى أوربا غير أحقاد النفوذ والسلطة والرغبة فى تولى عصبة دون عصبة لا قوة الفرنجة ، كما حاولت أن توحى بذلك المصادر النصرانية .

وبذلك طويت صفحة من صفحات النضال الإسلامى فى أرض فرنسا من أجل نشر العقيدة الإســـلامية السمحة فى أرض القارة الأوربية بعد أن كافح الأسلاف كفاحاً طويلا من أجل نشر هذه العقيدة .

الإسلام والمسلمون فى فرنسا اليوم

نشرت جريدة أخبار العالم الاسلام إلى تصدرها رابطة العالم الاسلامى بمكة بتاريخ ٢٧ ربيع أول ١٣٩٨ هـ ٦ مارس ١٩٧٨ م إن إحدى المجلات الفرنسية قد نشرت دراسة عن المسلمين فى فرنسا يؤخذ منها أن الاسلام هو الآن ثانى ديانة فى فرنسا بعد المذهب المسيحى الكاثوليكى .

فكان لابد فى إلقاء الضوء على الاسلام والمسلمين فى فرنسا فى هذه الأيام التى تبشر كان المد الاسلامى قد بدأ يعيد تاريخه فى هذه الأرض التى كانت أرضا إسلامية .

ولقد كان من أثر السيطرة الاستعمارية التى قامت بها فرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر على أراضى الجزائر وباقى بلاد المغرب العربى (المغرب وتونس) وكذلك على بلاد غرب أفريقيا ووسطها إن أدى ذلك إلى حدوث هجرة إسلامية على نطاق واسع قام بها أبناء هذه الأقاليم للاستقرار فى فرنسا من أجل العمل والكسب أو السعى فى طلب العلم والدراسة وقد أدى ذلك إلى ظهور جاليات إسلامية كبيرة فى فرنسا على الرغم فى أن الهجرة الاسلامية الجماعية الواسعة لم تبدأ إلا فى أوائل

القرن العشرين وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ١٩١٩ إذ تضاعفت أعداد المسلمين القادمين من شمال إفريقيا وبلاد غرب القارة وذلك لحاجة فرنسا إلى هذه الأيدى العاملة الرخيصة وذلك بعد أن خسرت فرنسا أعداد كبيرة من أبنائها فى هذه الحرب ، حتى أنه يذكر أن عدد السكان المسلمين المقيمين فى فرنسا عام ١٩٢٠ يقدر لأول مرة فى تاريخ فرنسا الحديث بحوالى ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف مسلم ، وقد تزايد أيضاً عدد المسلمين المهاجرين والمستقرين فى فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية سبب تناقص الفرنسين نتيجة للخسارة الهائلة فى أبناء فرنسا من أثر هذه الحرب ، ثم تتابعت الزيادة فى الخمسينات وزادت الهجرة الاسلامية بعد استقلال عام ١٩٦٣ ونزح كثيراً من أبناء الجزائر وغيرها من الدول الاسلامية جميعها خاصة بعد تقدم فرنسا الاقتصادى وانتعاش الاقتصاد الفرنسى حتى لقد أصبح المسلمون اليوم يشكلون حوالى ٦٪ من مجموع السكان الكلى وهم ثانى أكبر جالية إسلامية فى أوربا كلها بعد المسلمين فى يوغسلافيا من حيث العدد الاجمالى للمسلمين من أكثر من مليونين شخص مسلم وتزايد بينهم نسبة الوليد ويوجد من بينهم ١,٢٠٠ مليون ومائتين ألف جزائرى ومغربى وتونسى كذلك يوجد حوالى ٥٠٠ ألف فرنسى من أصل جزائرى كذلك كثر من أبناء البلاد الاسلامية الشرقية ومعظم المسلمين فى فرنسا سنيون على المذهب المالكى .

وأكثر هؤلاء المسلمين من الطبقة العامله وكثيراً منهم يعملون فى أعمال حرفية ، ويوجد فى فرنسا أكثر من عشرة آلاف طالب مسلم وكثيراً من المهندسين والأطباء والفنين أنى معظمهم من البلاد الاسلامية ، بالإضافة إلى اعتناق عدد كبير من الفرنسيين أنفسهم الدين الاسلامى ويبلغ عدد الفرنسيين الذين يدخلون الاسلام بحوالى ألف شخص سنوياً وإن كان قد يبلغ عدد الفرنسيين الذين دخلوا الاسلام حوالى نصف مليون مواطن .

ويلاحظ أن تقارب فرنسا فى الآونة الأخيرة مع البلاد العربية والإسلامية قد خلق متنفساً للمسلمين لكى يستطيعوا أن يظهروا قوتهم الدينية فى فرنسا ومحاولة وجود جمعيات إسلامية تستند إلى سند قانونى فرنسى وهى جمعيات معترف بها من قبل الحكومة الفرنسية .

وسوف نحاول هنا أن نلقى الضوء على بعض الجمعيات الاسلامية التى لها نشاط بارز وواضح بين صفوف المسلمين الذين يقدر عددهم بأكثر من ٢ مليون مسلم والجمعيات الاسلامية

١ — اتحاد الطلبة المسلمين :

وهو يأخذ من اسمه انه اتحاد يضم الطلاب المسلمين الذين يدرسون فى فرنسا وقد ظهر هذا الاتحاد فى المجال الفرنسى منذ أوائل الستينات ١٩٦٠م وكان مركزه مسجد باريس وهو فرع من الإتحاد الأوربى للجمعيات الطلابية الاسلامية الذى مركزه أخن فى شمال ألمانيا . وقد انتقل هذا الاتحاد من مقره بالمسجد إلى المركز الاسلامى الذى قامت حكومة أبو ظبى بالمساعدة فى شراء هذا المركز ولهذا المركز نشاط طلابى يشمل ١٥ مدينة فرنسية وهذا الاتحاد له نشاط إسلامى ملحوظ بين الأوساط الفرنسية وخاصة بين الشباب الفرنسى وله مجلة اسمها مجلة المسلم وهى تصدر باللغة الفرنسية كل ثلاثة شهور وهذا الاتحاد له تأثير قوى فى تعميق المفاهيم الاسلامية فى نفوس الشباب الفرنسى الداخل فى دين الاسلام .

٢ — جمعية المسلمين الدولية :

وقد كانت هذه الجمعية ضمن اتحاد الطلبة المسلمين ولكن انفصلت عنها وأخذت تمارس نشاطها الاسلامى بمفردها بعد أن كانت تتخذ مسجد باريس مقرا لها ولكنها اضطرت فى نهاية الأمر إلى الحصول لها على مقر مستقل وهى تضم فئة قليلة بالملاحظة إلى الاتحاد الأول وإن كان لها نشاط إسلامى بين المسلمين وتقوم بإصدار مجلة إسلامية شهرية تصدر باللغة الفرنسية أوائل كل شهر وتسمى مجلة العالم الإسلامى . وهذه المجلة تشترى خارج فرنسا أيضاً وتقوم بتوزيع حوالى ٢٠ ألف نسخة شهرياً فى البلدان الناطق باللغة الفرنسية ونشاط هذه الجمعية تحت إشراف بعض الايرانيين وربما تكون مدعومة من قبل الحكومة الايرانية ، إلا أنها ذو أثر فعال فى مجال الحركة الاسلامية فى فرنسا وياحبذا لو انضمت إلى إسلامى الذى كانت هى جزء منه لكى تتوحد الأهداف والجهود من أجل عمل الإتحاد واحد .

وبالإضافة إلى ذلك توجد عدة جمعيات ومؤسسات إسلامية تقوم بالدعوة الاسلامية بين صفوف الشعب الفرنسى وإن كان الأمر للقائمين بها من غير أبناء فرنسا هى :

٣ — جمعية مسلمى باريس :

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٦٣ وكانت قد ظهرت كفكرة منذ عام ١٩٥٦م وتهدف هذه الجمعية إلى الدعوة للاسلام بين صفوف المسلمين وغير المسلمين وتقوم بالتركيز على تربية الأطفال المسلمين تربية إسلامية والعمل على التوسع فى إنشاء العديد من المدارس الاسلامية لنشر التعاليم الاسلامية بين صفوف الصغار سواء من المسلمين وغير المسلمين لكى يشبوا على التعاليم الاسلامية السمحة ولها نشاط أعلامى ملحوظ وهى تقوم بإصدار مجلة شهرية تصدر باللغة الفرنسية اسمها فرنسا الاسلام وقد بدأت أول إصدار لها عام ١٩٦٧م وتقوم بإصدار ٢٥ ألف نسخة ولهذه الجمعية اتصال بالجاليات الاسلامية فى المناطق التى كانت تخضع للنفوذ الفرنسى قبل الحصول على استقلالها وكذلك لها نشاط فى ترجمة الكتب الاسلامية إلى لغات مختلفة للشعوب الاسلامية التى تعيش فى تلك المناطق كاللغة الفولانية والكمبودية وغيرها من اللغات المختلفة ولقد عملت الجمعية على شراء كنيسة وتحويلها إلى مسجد لكى يقوم المسلمون بتأدية شعائرهم الدينية فى ذلك المسجد وكل هذا النشاط الاسلامى الملحوظ يبشر بازدياد المد الاسلامى وانتشاره بين جميع أفراد الشعب الفرنسى والذى بدأ هذه الأيام يدخل فى دين الله ويقدر أكثر من ألف فرنسى سنويا فإن هذا العدد سوف يزداد سنوياً .

٤ — جمعية المسلمين الفرنسيين :

هذه الجمعية عباره عن جماعة من المسلمين نظموا أنفسهم على أسس الطرق الصوفية ويمكن أن يطلق عليها الجماعة الصوفية وهى أقدم جماعة إسلامية وجدت فى الأراضى الفرنسية إذ مر على تكوينها أكثر من نصف قرن من الزمان ورئيس هذه الجمعية فرنسى الأصل وهو رجل مثقف ومعلم متمسك بالتعاليم

الإسلامية وهذه الجماعة تركز على تعليم أبنائهم وهم صغار اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتنشأتهم النشأة الإسلامية وتصدر مجلة ذات مستوى رفيع اسمها الدراسات التقليدية وتصدر شهرياً بالإضافة إلى هذه الجمعيات السالفة الذكر توجد عدة جمعيات أخرى منتشرة فى أنحاء كثيره من فرنسا وخاصة فى الأجزاء الجنوبية فى فرنسا وهى الأجزاء المطلة على البحر المتوسط حيث يوجد أكبر تجمع إسلامى فى هذه المدن وهذه الجمعيات منها جمعية تطلق على نفسها أخوة المسلمين فى أوربا وكذلك حركة الإعانة والدفاع عن المهاجرين المسلمين ولكن ليت هذه الجمعيات السالفة الذكر يجمعها تنظيم إسلامى واحد فى مركز إسلامى كبير والجهود التى يبذلها مكتب رابطة العالم الإسلامى فى باريس لأجل توحيد هذه الجمعيات والدعوه للاسلام وتنشيط حركة الامتداد بين صفوف المسلمين الفرنسيين يجد تجاوباً كبيراً بين صفوف هذا الشعب — ولكن يمكن القول بأنه حتى الآن لا توجد مدارس إسلامية بالمعنى المفهوم اللهم إلا بعض الكتاتيب الشعبية لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية كذلك يوجد عجز كبير فى عدد المساجد ولايوجد إلامسجد كبير فى العاصمة باريس بنى عام١٩٣٠م وللمسلمين نشاط إسلامى ملحوظ إذ يقومون هذه الأيام بحركة إسلامية واسعة بشأن شراء الكنائس وتحويلها إلى مساجد وقد تم شراء كنيسة فى مدينة مرسيليا وحولوها إلى مسجد وإن كان يوجد فى باريس وحدها وضواحيها ما لا يقل عن ١٩ مسجد وقد تبرع أحد المسلمين بفندق ضخم وحولوه إلى مسجد ومركز إسلامى .

أن الدين الإسلامى دين الله الخالد قد بدأ يعود إلى فرنسا مرة أخرى كما كان فيها منذ مئات السنين ، أن الأراضى الفرنسية فى جنوب البلاد والتى شهدت استقرار بها وفتوحهم لها لتشهد اليوم حركة إسلامية تتسع وتزداد كل يوم .

أن الدول العربية والاسلامية وكل الهيئات الاسلامية العاملة فى حقل الدعوه الاسلامية مطالبة اليوم بأن تكثف الجهود وتدعمها وأن تبذل كل ما فى وسعها لكى تمد يد العون والمساعدة لإخوانهم المسلمين فى فرنسا عن طريق إرسال الوعاظ والأئمة ورجال الدعوة ونشر الكتب الاسلامية وكذلك إنشاء المراكز

الاسلامية فى كل أنحاء القارة الأوربية أن عدد المسلمين فى فرنسا يتزايد كل يوم وهذا يستدعى مضاعفة الجهود وحشد كل القوى الاسلامية لأجل المحافظة على عقيدة هؤلاء القوم وترسيخ مفاهيم الاسلام بين أطفالهم وهم صغار قبل أن تؤثر فيهم الحركات المعادية للاسلام .

الاسلام والمسلمون فى جزيرة كورسيكا

لقد كان لاتساع المد الاسلامى فى موجة الزحف الجارف وتحطيم كل أوثان الجاهلية ووصول الراية الاسلامية إلى أقصى المحيط الأطلسى وعبورها مضيق جبل طارق لكى تبسط ألويتها على شبه جزيرة « أيبيريا » فى الطرف الجنوبى الغربى للقارة الأوربية وسيطرة المسلمين على تلك الاقصاع البرية الواسعة وظهور خطر الأسطول البحرى البيزنطى فى مياه البحر الأبيض المتوسط ومهاجمته لسواحل الأندلس وساحل الشمال الأفريقى والتجاء المسلمين لبناء مدنهم فى الداخل بعيداً عن الساحل خوفاً من مهاجمة الأساطيل البيزنطية التى كانت وما زالت فى القرن الأول الهجرى تملك زمام البحر المتوسط وتسيطر على جزره .

ولكن ما إن تم توطيد الوضع الداخلى وتسيير أمور البلاد الداخلية حتى بدأ الاهتمام ببناء الأسطول الإسلامى فى غرب البحر المتوسط لا سيما وإن القوة الاسلامية بدأت تظهر فى شرق البحر المتوسط ، بعد إن خاضت معركة ذات الصوارى وانتصار الأسطول الاسلامى البيزنطى فكانت فكرة السيطرة على الجزر المواجهه للشاطىء الشرقى للأندلس واستطاع المسلمون السيطرة على جزر البليار وجزيرة سردنيه وكورسيكا .

وجزيرة كورسيكا التى هى محور الدراسة الآن يطلق عليها ذلك الاسم أو قورسقه وهى بالفرنسية كورس وهى جزيرة صغيرة تبلغ مساحتها ٨٧٥ كيلو متر مربع عدد سكانها الآن ٦٧,٨٧٣ نسمة وهى الآن جزء من الدولة الفرنسية فى البحر المتوسط وتقع إلى الجنوب الشرقى من فرنسا وإلى الشمال من

سردنيه ، وعاصمتها وأهم موانيها « جاكسيو » وكذلك موانيها الأخرى « بأسينا » ومعظم الجزيرة جبلى وأهم صادراتها زيت الزيتون والتين والنبيذ والأخشاب ، ومواصلاتها رديئة ولا تزال كثيراً من أراضيها على حالتها الطبيعية مما يتيح الفرصة للعصابات التى ما زالت تقلق الجزيرة حتى أوائل القرن ٢٠ م ويتكلم سكانها اللغة الفرنسية فى المدن الكبرى أما خارج المدن الكبرى فيتحدث الناس اللغة الايطالية .

الجزيرة قبل الغزو الاسلامى :

لقد تعرضت الجزيرة للغزو منذ العصور القديمة ولقد تعاقب على السيطرة عليها الرومان فى القرن الخامس الميلادى وجاء بعدهم الوندال وكان جزريك الوندالى قد كون إمبراطورية بحرية تكونت من شمال أفريقيا وسردنية وجزر البليار وكورسيكا وذلك لأن الأسطول الوندالى القوى فى أواخر القرن الخامس الميلادى لم يجد أى قوة بحرية تقف فى طريقه فى البحر المتوسط وهذا يفسر سر إسراع أساطيلهم من مراكزها فى شمال إفريقيا ومنطقة غرب البحر المتوسط بالقيام بأعمال القرصنة واستطاع الوندال تخريب روما عام ٤٥٠ م ولم يستطع الرومان أن يواجهوهم ثم انتقل حكم الجزيرة بعد ذلك إلى حكم القوط وتشجع القوط الشرقين وتحولوا من الدفاع إلى الهجوم وشنوا حرباً بحرية بسفن صغيرة ضد الوندال وكانوا قد بنوها فى شمال إيطاليا وفى عام ٥٥١ م استطاع الأسطول الاستيلاء على كورسيكا وسردنية وتعرضت مواصلات الحملة البيزنطية مع الشرق للخطر ولكن فى نفس العام فإن الامبراطور الرومانى جوستنيان استطاع أن يستعيد كورسيكا وسردنية واختفى أسطول القوط الشرقين كما اختفى من قبل أسطول الوندال .

الغزو الاسلامى :

ما إن انتهى القرن الأول الهجرى حتى ظهرت إلى الوجود قوة إسلامية عزيمتها الإيمان وبأس رجالها الجهاد فى سبيل الله واستطاعت تلك القوة أن تبسط لواء الإسلام على طول الساحل الجنوبى للبحر الأبيض المتوسط بعد أن

بسطته على الساحل الشرقى ، ثم بعده إلى الساحل الغربى للأندلس ، ولكن الساحل الشمالى وجزر البحر كانت ما تزال فى أيدى أعداء الإسلام ومن ثم ظهرت فكرة غزو الجزر هذه والسيطرة على الساحل الشمالى للبحر المتوسط وكان نصيب غرب البحر المتوسط للأسطول الأندلسى والإفريقى ، ومن ثم ظهرت فكرة ضرورة الاستيلاء على جزر الغرب ، وهى جزر البليار وسردنية وكورسيكا وعلى هذا فإنه يمكن القول أن الغزوات التى شنها المسلمون على جزر غرب البحر المتوسط قد اقترنت بغزو جزيرة كورسيكا ، ومن المرجح أن تكون هذه الجزيرة قد أنطوت تحت راية التوحيد قبل عام ١٩٩ هـ — ٨١٦ م وإن كانت المصادر الأوربية تذكر أن المسلمين وأساطيلهم البحرية لم تصل إلى كورسيكا قبل هذا التاريخ إذ ثبت أنه فى الفترة من ٨٠٦ — ٨١٥ م قام الأسطول الإسلامى بهجمات بحرية منظمة ومركزة على جزر البليار وكورسيكا والشواطىء الكارولينجية واستطاع المسلمون بسيطرتهم على كورسيكا أن تكون هى وسردانية قاعدة للعمليات البحرية لغزو شواطىء إيطاليا الغربية وكذلك غزو مرسيليا وجنوب فرنسا وكان المسلمون يأملون أن تظل كورسيكا قاعدة لهم بصفة دائمة لكى يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم فى غزو باقى أجزاء أوربا بعد أن يبسطوا لواءهم على الأندلس وجنوب فرنسا وسويسرا وأجزاء من إيطاليا .

وتذكر المصادر أن كورسيكا وسردنية كانتا قاعدتين للأسطول الإسلامى فى غزواته للبلاد الأوربية والدليل على ذلك تلك الغزوة الإسلامية الثانية لمدينة روما والتى قام بها أسطول كريت والأندلس وأفريقيا لمركز البابوية ، ذلك أن الوحدات الإسلامية كانت قد اتفقت فيما بينها على أن يتجمع الأسطول الإسلامى فى شمال سردنية وجنوب كورسيكا وذلك لتوحيد القيادة وتنفيذ خطة الهجوم الإسلامية المتفق عليها لغزو مدينة روما وكذلك فإن ذلك اللقاء يؤكد سيطرة المسلمين سيطرة تامة على هذه الجزر وإلا فكيف يتجمع الأسطول الإسلامى وهذه الجزر تخضع لقيادة غير إسلامية .

الصراع من اجل الجزيرة :

لقد أخافت القوة الإسلامية التى ظهرت فى غرب البحر المتوسط وأصبحت خطراً يهدد الوجود الأوربى فى تلك الشواطىء الشمالية للقارة الأوربية والتى يسعى المسلمون لمد رايتهم الإسلامية وترسيخها فى تلك الأرجاء ، وكان «شارلمان» إمبراطور الإمبراطورية الغربية وملك الفرنجة قد اهتز من تلك الانتصارات التى أحرزها الأسطول الإسلامى وتوطيد دعائمة فى كورسيكا ، فجمع أسطولا أوربياً ضخماً ساعدت فيه كل الإمارات الإيطالية (البندقية ، جنوة ، بيزا) وفى عام ٨٠٦ م وقع صدام بحرى عنيف بين الأساطيل الإسلامية الأندلسية وبين أسطول الفرنجة غرب جزيرة كورسيكا وكان المسلمون قد اتخذوا من الجزيرة قاعدة لهم ولأسطولهم لمهاجمة جنوب فرنسا وسواحل إيطاليا الغربية ، وكان شارلمان قد أرسل أسطوله البحرى بقيادة « كونت جنوه » ليكون قائداً للأسطول الأوربى المهاجم وكان هذا القائد الجنوى يدعى « مادومار » لمطاردة الأساطيل الإسلامية ومهاجمتها ، ولكن المسلمون انتصروا عليه إنتصاراً كبيراً وقتل قائد الأسطول الفرنجى وأسر المسلمون عدداً كبيراً من جند الفرنجة واضطر شارلمان إلى إفتدائهم بالأموال الكثيرة لوجود بعض أقاربه بين هؤلاء الأسرى، وبعد ذلك ظل الأسطول الإسلامى يتابع غاراته على كورسيكا وحالفه النصر بسبب العون البحرى الذى تلقاه من دولة الأغالبة التى قامت إذ ذاك فى تونس واستطاع المسلمون بفضل هذا التعاون فى غرب البحر المتوسط السيطرة على كورسيكا ومهاجمة شواطىء جنوب فرنسا وساحل إيطاليا الغربى ولكن فى عام ٨٠٨ م — ١٩٢ هـ تدخل بابا روما البابا ليو الثالث لدى ابن شارلمان بنين وحكام الولايات الإيطالية وحكام دول غرب أوربا طالبا منهم عدم الغفلة عن مهاجمة كورسيكا لأن المسلمين بها لا يكفون عن غزو الشواطىء الإيطالية وهذا خير دليل على توطيد النفوذ الإسلامى واستقرار المسلمين بها .

ولكن هناك بعض المصادر تذكر أن السيادة الإسلامية على جزيرة كورسيكا لم تكن سيادة ثابتة ودائمة ومستقرة بدليل كثرة الغزو لها من الجانب الإسلامى

والمسيحى الأوربى ولـكن هذه الأقوال لا تنفى سيطرة المسلمين عليها وامتلاكها وصبغها بالصبغة الإسلامية وظهور وضع إسلامى بها ، ذلك لأنه بتلك السيطرة الاسلامية عليها وكذلك السيطرة الاسلامية على جزر البحر المتوسط الغربى كونت جزر البليار وسردنية وكورسيكا سلسلة من الحواجز تجاه شواطىء الأندلس وشمال أفريقيا ولم يعد هناك بالمعنى المفهوم والواضح أى أسطول فى غرب البحر ينافس الأسطول الاسلامى أو يقف أمامه فى أية معركة بحرية ، ذلك لأن هذا الأسطول استطاع أن يتحكم فى المضايق البحرية ذات القيمة الاستراتيجية الهامة والواقعة على طريق التجارة من الشرق والغرب وصار أشراف المسلمين على هذه الجزر والمضايق يخضع لنظام دقيق .

وتقول مصادر النصارى التاريخية ، لويس أرشيباليد فى كتابه القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط ان المسلمون كانوا يقصدون من هذه الغارة على الشواطىء الأوربية والجنوبية والجزر الواقعة بالقرب من هذه الشواطىء (يقصد كورسيكا وصقلية وكريت ورودس) الحصول على الغنائم ويذكرون أنه فى عام ٨١٣ م قامت حملة بحرية من موانى الأندلس فأغارت على كورسيكا ونيس ومدينة سافينا نكيا واستطاعت أن تغنم مغانم كثيرة ولـكن فى طريق العودة اعترضهـــا أسطول الفرنجة عند جزيرة « ميورقه » بقيادة كونت أسبورياس واستطاع أن يجعل المسلمين يتخلون عن هذه المغانم فلم يكن من الأسطول الاسلامى إلا أن قام بغزو الساحل الايطالى رداً على هذا الاعتراض وإظهاراً لقوة الأسطول الاسلامى .

كذلك نلاحظ هنا أن المصادر الغربية كانت دائماً تصور الجهاد الاسلامى من أجل نشر عقيدة الاسلام الحقة والخالدة على أنه عمل من أعمال القرصنة يقوم بها قراصنة البحر من أجل السلب والنهب وجلب الغنائم وهذا هو عين الحقد للإسلام .

الفاطميون وحكم الجزيرة :

لقد انتقلت السيادة الاسلامية على كورسيكا وسردنية للخلافة الفاطمية القائمة فى مدينة المهدية بشمال أفريقيا عام ١٠٠٢ م ولكن بعض المصادر تذكر أن السيادة الفاطمية على كورسيكا كانت قبل ذلك التاريخ وفى ذلك يقول أرشيباليد أن نفوذ الفاطميين البحرى قد ظهر بصورة واضحة فى غرب البحر المتوسط وذلك لأنهم قاموا فى عام ٩٣٥ م بإرسال أسطول كامل الاستعداد لتثبيت دعائم سلطانهم على مياه « البحر التيرانى » وأغار هذا الأسطول الفاطمى على سردنية وربما جنوه وإستطاع أن يحرق ويدمر الكثير من سفن البيزنطيين التى كانت موجودة فى ميناء جنوة ، وهذا يدل على استعادة الأسطول الاسلامى لمركزه فى غرب البحر المتوسط .

ونظرا لتفوق الأسطول الاسلامى فان بلاد الساحل المسيحى من برشلونه حتى نهر التيبر (شمال روما) كانت مناطق ميتة واختفى منها ما سبق أن وجد من تجار وقوة بحرية زمن شارلمان ولويس ، وبقيت برشلونه وناربون ومرسيليا وجنوه بل نيرة ذاتها مدنا قليلة السكان وغير قادرة على حماية نفسها من غارات المسلمين المتوالية والموجهة إليها من الأندلس ذاتها ومن قاعدتها الاسلامية الأماميه فى فراكسنت فى سويسرا وضاعت أهمية جزيرتى سردنية وكورسيكا بسبب السيطرة الاسلامية عليها وانتفاع المسلمين بموقعها الاستراتيجى ، وكذلك من الناحية التجارية والزراعية بالنسبة للدول الأوربية حيث تم للمسلمين السيطرة عليها وإن شاركتا فى قليل من الرخاء الذى فاض حولها على جزيرة صقلية وجزر البليار والأندلس .

وعندما قام مجاهد العامرى بغزو جزيرة سردنية واستطاع أن يسيطر عليها توجه إلى مدينة لونى الايطالية واستطاع أن يبسط لواء الاسلام عليها فإنه قد مر على جزيرة كورسيكا للتزود بالامدادات والتموين للقوات المتجهة لتلك الجزيرة وهذا دليل آخر على خضوعها لسيطرة الاسلامية .

وتذكر المصادر التاريخية أن المسلمين كما سيطروا على بوغاز « مسينا »

الفاصل بين جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا فإنهم استطاعوا أن يسيطروا على بوغاز « تيوفاثيو » وهو البوغاز الفاصل بين جزيرتى سردنية وكورسيكا وهذا يؤكد سيطرة المسلمين على جزيرة كورسيكا أو على الأقل على الأجزاء الجنوبية منها حتى أنهم استطاعوا تأمين المواصلات البحرية الإسلامية فى هذا البوغاز .

انحسار المد الاسلامى :

لم يكد ينتهى القرن الحادى عشر الميلادى إلا وكان الأوربيون الفرنسيون قد بدوا سيطرتهم على غرب البحر المتوسط وذلك بعد أن كان هذا الجزء من البحر المتوسط بل البحر الأبيض المتوسط بجميع جزره وموانيه بحيرة إسلامية طوال ثلاثة قرون (٩ — ١١م) إذ أصبح الفرنجة سادة كورسيكا وسردنية وصقلية وجنوب إيطاليا وكل الأقاليم الساحلية الشمالية إلى جانب تحكمهم فى طرق التجارة البحرية بين الشرق والغرب وإن كان المسلمون قد استطاعوا فى عام ١٠٥٠م تحت قيادة الأمير على بن مجاهد صاحب دانيه أن يعيدوا المجد الإسلامى إلى هذه الجزر واستطاع أن يمد النفوذ الإسلامى على جزيرة كورسيكا مرة أخرى ، وأنه بعد ذلك بخمسين عاما فقد المسلمون سيطرتهم على كورسيكا وزاد ضغط الأوربيين وأساطيلهم على جزر البليار من أجل انتزاعها من أيدى المسلمين ، بل إن سفنهم الحربية استغلت ضعف البحرية الإسلامية فى وعدم قدرتها على الهجوم وأخذت تغير على الشواطىء الإسلامية الأندلس وشواطىء الشمال الأفريقى .

ولقد كان الأسطول الاسلامى فى شرق البحر المتوسط وغربه فى حالة الهجوم على الشواطىء الأوربية أو الاعداد لغزوة إسلامية كبرى فإن كل هذه الأساطيل (كريت وشمال أفريقيا — الأندلس — مصر — سوريا) تعمل تحت قيادة إسلامية واحدة ولقد شهدت كثيراً من الغزوات الاسلامية صوراً من صور هذا التعاون الاسلامى البحرى (غزو صقلية والأندلس وشمال أفريقيا والاستيلاء على سالونيك ، بعض كريت وسوريا ومساعدة الأسطول المصرى للأسطول السكريتى) .

ولكنه كان من أثر تغلب النور ماندين على صقلية ومالطة وجنوب إيطاليا أن انفصل الأسطول الأندلسى الاسلامى عن أساطيل الدول الشرقية فى مصر والشرق الأدنى (سوريا — باقى بلاد الشام) .

وهكذا ضاعت جزيرة كورسيكا من أيدى المسلمين كما ضاعت غيرها من الجزر الاسلامية الأخرى التى كانت ممتدة من قبرص شرقا إلى جزر البليار غرباً ومن جزيرة مالطة جنوباً إلى جزيرة كورسيكا شمالا ، وما ذلك إلا بسبب ضعف البحرية الاسلامية وظهور الخلافات بين الحكام المسلمين وانعدام التعاون والترابط بين الوحدات الاسلامية المختلفة ، بل على العكس من ذلك فإن الأمر قد أدى بالضرورة إلى مهاجمة الأساطيل الاسلامية لبعضها البعض (أسطول الأغالبة — كريت ، والأسطول الفاطمى ، الأندلسى) .

وتلك هى نظرة بسيطة ألقينا من خلالها الضوء على الاسلام والمسلمين خلال ثلاثة قرون من الزمن سادت فيها البحرية الاسلامية ذلك البحر الأبيض المتوسط بحيث صار بحراً إسلامياً خالصاً .

الإسلام والمسلمون فى سويسرا

تلك هى صفحات الجهاد الإسلامى فى قلب القارة الأوربية وفوق جبال الألب السويسرية نقدمها لأبناء العروبة والاسلام لكى يتعرفوا منها على جزء من كفاح أسلافهم فى سبيل رفع راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله على أرض القارة الأوربية ذلك لأن الجهاد الاسلامى فى أوربا كان قد وطد العزم على الأخذ بهذه الراية واختراقه القلب والوصول بتلك الراية إلى الشمال الأوربى ، ورفعها خفاقة عالية على أديم القارة التى بسط المسلمون لواء الاسلام فوق طرفها الجنوبى الغربى .

وسويسرا التى نعرض لتاريخ الاسلام والمسلمين بها تقع فى وسط أوربا وهى بلد لا ساحل لها اليوم على البحر أو المحيط ويحدها فى الوقت الحالى ألمانيا من الشمال وإيطاليا من الجنوب والنمسا من الشرق وفرنسا من الغرب أما زمن

الفتح العربي لها فلم تكن حدودها السياسية واضحة المعالم لان القوميات فى أوربا فى ذلك الوقت لم تكن قد ظهرت بعد ولأن الحدود السياسية بوضعها الحالى لم يكن متعاوف عليها ومن هنا فإن سويسرا الاسلامية كانت تتوسط أوربا .

وعلى هذا فإنى سوف أحاول فى تلك الدراسة إلقاء الضوء على النقاط الآتية :

١ — دخول الاسلام إلى سويسرا .
٢ — سيطرة المسلمون على قلب أوربا .
٣ — إقامة الدولة العربية الاسلامية فى سويسرا .
٤ — تحالف الأمم النصرانية ضد الدولة الاسلامية .
٥ — الآثار الاسلامية فى سويسرا .

اولا : دخول الاسلام إلى سويسرا :

تقول المصادر التاريخية أنه فى عام ٢٧٢هـ — ٨٨٨م جاء بعض العرب من سواحل الأندلس فى مراكب صغيرة ، يحدوهم الأمل فى النزول إلى الشاطىء الأوربى لكى يقيموا دولة إسلامية كبرى تتسع بها رقعة العالم الإسلامى ، وليجاهدوا الأمم النصرانية وتم لهم ما أرادوا ومكن الله لهم فى الأرض فقد استطاعوا النزول إلى « بروفانس » والاستيلاء على بلدة « ترويز » وملكوا هذه النواحى الواقعة شرق الأندلس فى سرعة مذهلة ولم يجدوا أدنى مقاومة من الأهالى سكان تلك النواحى ومن ثم فقد اتخذوا لهم معقلا فى جبل «موردس» وذلك لكى يأمنوا مهاجمة النصارى لهم ويكونوا فى حماية من الأمم المجاورة وأطلق على هذا المكان « فراكستيوم » ويحد هـــذا المكان البحر المتوسط من جهة والغابات المتشابكة من جهة أخرى ، وبذلك فان الفوج الأول من المسلمين قد أقاموا قاعدتهم الأولى للانطلاق من أجل نشر الرسالة الخالدة فى هذا المكان المنيع ، وصارت لهم قاعدة ينطلقون منها ليتجولوا بالجهات المجاورة ، دون أدنى خوف من أية قوة نصرانية تستطيع الاعتداء عليهم واثقين بالله فى نصرهم على أعدائهم وفى قدرتهم على رفع الراية الإسلامية كل يوم على أرض جديدة .

ولما رأوا أنهم فى أمان واستطاعوا أن يوطدوا أقدامهم على الأرض السويسرية ، فإنهم أرسلوا رسولا منهم إلى الأندلس لكى يحض القوم على الجهاد فى مكان جديد من أرض أوربا . ولم يلبث الرسول أن عاد إلى الحصن الإسلامى ومعه عدد كبير من مجاهدى الأندلس ، الذين جاءوا لكى يلحقوا بإخوانهم الذين سبقوهم فى الجهاد من أجل نصرة دين الله الحنيف والحق ؛ ومن ثم فقد توالت النجدات من الأندلس إلى هؤلاء العرب الفاتحين الذين بسطوا نفوذهم ورفعوا راية الإسلام على تلك الأرجاء وأصابوا فيها مغانم كثيرة ، ولقد بقيت هذه الامارة الإسلامية التى أسسها المسلمون فى قلب أوربا لعدة سنين طويلة مركزاً لقوتهم السياسية ونفوذهم الدينى وقوتهم العسكرية فى هذا الجانب من القارة الأوربية ، فمنها كانوا يبعثون بالسرايا ويرسلون المجاهدين إلى الشرق من جبال الألب البحرية ، ومن جراء قوتهم ونفوذهم وقوة إيمانهم وصلابة شكيمتهم وصبرهم على الشدائد صارت هذه الامارة الاسلامية حديث الناس فى ذلك الإقليم والأقاليم المجاورة ، بل وصارت للمسلمين غزواتهم البعيدة داخل سويسرا وصاروا يهاجمون المدن المحصنة والقلاع القوية التى يسكنها أشراف البلاد ونبلاؤها ، ويفرضون نفوذهم الإسلامى عليها وهذه الغزوات التى كانت تقوم بها الدولة الإسلامية السويسرية كما يظهر فى روايات بعض مؤرخى العصر نفسه من النصارى لم تكن ذات مغزى سياسى كغيرها من الغارات النصرانية التى كانت تتم بين أمراء النصارى فى أوربا ، بل كان غرض الفاتحين للأراضى السويسرية هو توسيع رقعة العالم الإسلامى وإنشاء دولة إسلامية تتضافر مع غيرها من الدول الإسلامية من أجل نشر الرسالة الخالدة بين هؤلاء القوم ، ولم يكن غرض هؤلاء الفاتحين الذين نذروا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله إخضاع هذه المناطق لنفوذهم السياسى أو من أجل الغنائم بقدر ما كان نشر الدين الإسلامى بين تلك الشعوب التى لم تسمع من قبل عن دين الإسلام وسماحته ولا عن كتاب الله وشموله لكل شىء أو لم تتصل بالمسلمين من قريب أو بعيد أو أن تقام بينهم صلات يستطيعون من خلالها التعرف على الإسلام والمسلمين .

ثانيا : سيطرة المسلمين على قلب اوربا :

فى عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٦ م توغل المسلمون فى يوجندا وشيملة ودخول مدينة نيزا وتوغلوا فى جبـــل نيس وفتحوا بذلك الباب للسيطرة على كل سويسرا وبسطوا لواء الإسلام على وادى فاليه وصارت لهم وقائع مع أهالى تلك الأنحاء وبسطوا نفوذهم على دير فاليرة الذى كان يقع أسفل الجبل والذى كان من أعظم الأديرة وأغناها فى تلك المنطقة واكتسحوا كل شىء وحولوا الكنيسة التى فى الدير إلى مسجد وأقاموا شعائرهم الدينية فى الدير بعد أن تم تحويله إلى قلعة إسلامية واتخذوا منه مقراً لتحفيظ القرآن الكريم ودراسة علومه المختلفة بجانب العلوم الإسلامية ويبدو أن غارات المسلمين قد توالت بسرعة متزايدة على ساحل أقليم بروفانس بالإضافة إلى قواعدهم شبه الدائمة فى كامبرج وماجلون ، ولعلهم استعانوا فى السيطرة على هذه الأجزاء فى وسط أوربا برجال مجاهدين من بلاد إسلامية أخرى غير مسلمى الأندلس ومن تلك القواعد الإسلامية المتقدمة فى وسط أوربا شن المسلمون غارات برية على الداخل مثلما فعلوا فيما مضى عندما نزلوا سواحل إيطاليا الجنوبية وتعرض أقليم بروفانس وحوض الرون الأدنى لغاراتهم المستمرة طيلة أربعة وثمانين عاماً من الحكم الإسلامى فى تلك البقاع ، بل أنهم انتشروا فى جبال الألب وتحكموا فى الممرات والمعابر الواقعة بين فرنسا وإيطاليا فيما بين « مونت سنى » والبحر المتوسط وجعلوا المرور بالنسبة للنصارى عبر تلك الطرق والممرات التى تؤدى إلى وادى « اليو » عسيراً جداً إن لم يكن مستحيلا واتسعت الدولة العربية الإسلامية السويسرية ، ولم يلبث هؤلاء المسلمون أن ألفوا السكنى فى الجبال والغابات وتعودوا السير فى الأدغال والأحراش واعتادوا التأقلم مع طبيعة المناطق الثلجية الباردة ، وبناء مساكنهم بما يتلائم مع تلك البيئة الجديدة .

مما ساعد على ازدياد قوتهم وبسط نفوذهم ، قيام النزاع بين أمراء الإقطاع المجاورين لهم فى المقاطعات النصرانية الذين كانوا يطلبون من الدولة الإسلامية السويسرية المساعدة بإمدادهم بقوات إسلامية ضد بعضهم البعض ولم يكتف

هؤلاء المسلمون سكان تلك الأقاليم بما بلغوه من قوة وحازوه من ثروة ، بل اعتبروا أنفسهم ساده هذه البلاد وأصحاب النفوذ المطلق فيها واستطاعوا أن يهددوا « تورينو » فى شمال إيطاليا لتوسيع رقعة ممتلكاتهم وينتشروا فى نواحى مونت فرات وبيدمنت فى شمال إيطاليا أيضاً ، وكذلك أصبحت البلاد الواقعة بين نهر « بو » ونهر الرون مجالا للغزو الاسلامى وأصبحت بلاد فينين وبلاد ناربنزه عرضه للغزو الاسلامى ومنها انطلقت الطلائع الاسلامية لاكتشاف قوة المدن المجاورة وكان النصارى الذين يذهبون إلى روما كل عام واقعين فى مرورهم فى ممرات جبال الألب تحت الخطر الشديد والخوف من غارات المسلمين ، وكان أهالى البلاد التى يهاجمها المسلمون يفرون إمام قوة المسلمين القوية ويلجأون إلى الغابات والجبال ، إذ لم يكن لهم قبل بهذا الجيش الاسلامى القوى ، وكان المسلمين من الطبيعى أن يوجهوا جهودهم إلى الاستيلاء على الطرق العامة وبنوع خاص معابر جبال الألب لأنهم كانوا يرون فى ذلك إخضاع البلاد المجاورة وإظهار لقوة المسلمين التى كانت تهدف فى المقام الأول إلى نشر رسالة الحق لا من أجل الحصول على المغانم كما صور ذلك كتاب الغرب .

ثالثا : إقامة الدولة العربية الاسلامية فى سويسرا :

تقول المصادر التاريخية أنه فى عام ٣٠٥هـ/٩٢١م وبعد أن ازدادت القوة الإسلامية براً وبحراً فى تلك الأرجاء ومضى على إقامة المسلمين أكثر من ثلاثين عاما قضوها فى الجهاد الاسلامى وتوطيداً لدعائم وجودهم وفرض نفوذهم حتى استطاعوا إقامة دولة إسلامية عربية موطدة الدعائم ، قوية البنيان ، مرهوبة الجانب من كل الإمارات النصرانية المجاورة لها . فإنهم هاجموا قافلة إنجليزية كانت ذاهبة إلى روما بعد أن رفضوا دفع الرسوم المقررة عليهم وألقوها فى بعض الأودية الواقعة فى جبال الألب واستأصلوها ، وبعد ذلك بسنتين أى فى عام ٩٢٣م فإنهم لقوا قافلة أخرى من الإنجليز ففتكوا بها وفى عام ٩٢٩م لقوا قافلة أخرى فاضطر هؤلاء للرجوع قبل أن يقعوا فى أيديهم ، وإذ ذكرنا إنه من عادة المسافرين الانجليز الذين يقصدون إلى روما أن يجتازوا ممر

« سان برنار » الذى هو أشهر معابر جبال الألب ، فمن الواضح أن تكون هذه الوقائع ، قد وقعت على الحدود بين إيطاليا وسويسرا ، ونقول هنا أن المسلمون لم يقصدوا من وراء ذلك إلا إرهاب القوى النصرانية فى غرب أوروبا والاقلال من مكانه روما عند المسيحيين ومحاولة فرض حصار حولها ونقول أيضا إنه ربما كانت الإمارات النصرانية المحيطة بالدولة الإسلامية السويسرية تحاول بهذه الدعايات المغرضة التى جاء ذكرها فى كتابات مؤرخى الغرب ، تشويه النضال الاسلامى السامى لإطواء هذه الأراضى تحت راية الإسلام ، على أن المسلمين قطاع طرق ورجال قرصنة ، وبذلك تحرض الأمم النصرانية ضد المسلمين ، نظرا لأنهم رأوا الخطر يتهددهم وأن إماراتهم لابد واقعة تحت نفوذ الدولة الاسلامية الفتية ، فحاولوا جمع قوى النصرانية ضدها ، وإذا صدق قولهم فإن المسلمين ربما فعلوا ذلك تمهيداً لعزل روما عن العالم المسيحى الغربى وغزوها بعد استحالت أمام إخوانهم مسلمى صقلية عام ٨٤٦م لا سيما وأن مسلموا سويسرا كانوا قد بسطوا نفوذهم ومدوا نفوذهم فى بيدمنت فى شمال إيطاليا وكذلك « تورنتو » وأنهم كانوا يتوجهون بأنظارهم إلى روما عاصمة المسيحية وحاول المسلمون أن يوسعوا حدود دولتهم ويعملوا على إدخال أراضى جديدة لها ونشر الاسلام بين سكان هذه الأراضى فقاموا فى عام ٣٢٣هـ/٩٣٩م باكتساح وادى الرون الخصيب وبسطوا نفوذهم وأخذوا فى إنشاء المدن والحصون والمعاقل الإسلامية لضمان حماية قواتهم من هجمات ربما يقوم بها أعداء الإسلام ، ولكن فى عام ٩٤٠م جاءت قافلة مكونة من انجلترا وفرنسا وغيرهم من دول غرب أوربا وكانت قاصدة روما ، وبعد أن اشتبك معها المسلمون وفقدت بعض رجالها رجعت من حيث أتت لأن المسلمون كانوا قد استولوا على قرى كثيرة وأديرة عديدة فى وادى الرون وبذلك فإن المرور إلى روما أصبح يدخل ضمن أراضى الدولة الإسلامية السويسرية والتى كانت تفرض رسوم للمرور على المسافرين عبر أراضيها ، وفى نفس الوقت كان المسلمون الذين جعلوا مساكنهم فى جبال الألب المعروفة بالألب البونيه ، قد بدو يشنون غاراتهم على بحيرة جنيف وبلاد إمارة لوزان ، ويبدو أنهم كانوا قد استولوا على جبال الألب

الشرقية . وإن كنا لا نستطيع تحديد تاريخ دخول الإسلام إلى جبال الألب الغربية وسيطرتهم على وديانها ، وإن كانت بعض المصادر ترجح استيلاء المسلمين على هذه الجبال قد تم عام ٣٢١هـ/٩٣٦م بعد أن وطدوا نفوذهم فى شرق سويسرا وإنهم شنوا الغارات على سويسرا الألمانية الشمالية والذى لا شك فيه أن الجزء الأكبر من سويسرا الألمانية الذى يقع بين كورالى وادى الرين كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم الإسلامى عليه ورفعوا راية الإسلام خفاقة عالية فى قلب أوربا وليس هذا القسم سوى جبال الألب العليا وبهذا يكون المسلمون قد نشروا دينهم فى مقاطعة فاليس عام ٩٣٩ م ، وبهذا تكون سيطرتهم على جبال الألب العليا قد سبقت سيطرتهم على جبال الألب البونيه .

وتقول المصادر أن الموجة الاسلامية الزاحفة التى اكتسحت أوثان الشرك فى قلب أوربا قد انقسمت إلى قسمين، قسم سيطر على جبال الألب الغربية فى سويسرا والقسم الآخر سيطر على جبال الألب الشرقية وأنهم فتحوا لأنفسهم طريق على ضفاف بحيرات لانجن وكونز ، وأنهم بلغوها رغم قلتهم معتمدين على الله وعلى قوة إيمانهم وبسالتهم والرعب الذى وقع فى قلوب النصارى منهم وأنهم بسطوا نفوذهم على المدن والقرى واتخذوا مراكز دفاعية لهم وكانت لهم حصون يلجأون إليها عند القتال وأبراج يضعون فيها مغانمهم وأنهم كانوا يهاجمون أعدائهم عندما يعبرون الأودية العميقة فى جبال الألب وفى المضايق التى لا يمكن للأعداء الدفاع عنها ، ولقد استفاد المسلمون فى توطيد نفوذهم من الصراع الدائر بين ملك اللومبارد فى شمال إيطاليا وبين بابا روما ، إذ كان هذا الصراع فرصة لهم لكى يتمكنوا من سلسلة جبال الألب كلها سواء فى الشمال أو الغرب ، ووطدوا نفوذهم ونشروا دينهم الاسلامى بين سكان تلك الجبال والأودية .

رابعا : تحالف الأمم النصرانية ضد الدولة الاسلامية :

نظراً لتخوف أمراء غرب أوربا من الدولة الاسلامية السويسرية فإن هؤلاء الأمراء قد عملوا على عقد صلح بين أمير اللومبارد وبين بابا روما وذلك لجمع كلمة النصارى ضد المسلمين فى المنطقة وبعد أن تم الصلح فإن أمير شمال إيطاليا عمل

على مهاجمة المسلمين فى معقلهم الأول والذى كان يعتبر عاصمة الدولة السويسرية وهو « فراكسسنيوم » ومن أجل أن يحقق النصر على الدولة الإسلامية فإنه سعى إلى الإستعانه بدولة الروم فى القسطنطينية ، وفى ذلك الشأن أرسل الأمير « هوجو » أمير اللومبارد لامبراطور القسطنطينية يطلب منه أن يمده بالسفن الحربية التى تستخدم النار الإغريقية وذلك لكى يتم بواسطتها حرق السفن الإسلامية الراسية فى ميناء « فراكسسنيوم » وليقطع العون الإسلامى الذى ربما يأتى لهم من إخوانهم المسلمين فى الأندلس ، وشمال أفريقيا وصقلية عن طريق البحر ، وعلى أن يقوم أمير شمال إيطاليا بقواته والقوات التى تصل إليه من أمراء النصرانية فى وسط أوربا وشمالها بمهاجمة المسلمين من البر ويتولى أسطول القسطنطينية مهاجمة السفن الإسلامية من البحر وكذلك المدن الساحلية ، وجاءت سفن امبراطور القسطنطينية ورست فى ميناء « سان تروبز » بينما كان جيش النصارى البرى يزحف بقيادة الأمير « هوجو » إلى عاصمة الدولة الإسلامية ، ولكن الأسطول البيزنطى لم يستطع أن ينزل الهزيمة بالأسطول الإسلامى بعد أن توقع المسلمون حدوث مثل هذا الهجوم فأخذوا استعدادهم وفوتوا على الأعداء الفرصة من ذلك لأن الأسطول الإسلامى والدولة الإســـلامية السويسرية كانت على علم بتحركات الأعـداء فاتخذت حيطتها واستعـدت الدفاع عن نفسها وبذلك لم يستطع ملك شمال إيطاليا ، حتى بعد أن ضيق الخناق على المسلمين أن يستولى على معاقلهم .

وبذلك فشل التحالف المسيحى ضد الدولة الإسلامية ولم يستطع الملك « هوجو » أن يحقق أهدافه من وراء هذه الحملة التى اشتركت فيها كثيراً من الإمارات المسيحية وإزاء ذلك فإنه سعى إلى استبدال العداء مع المسلمين إلى عقد صلح معهم وبعث إليهم فى جبل « مورد » يعرض عليهم السلم على أن يمنعوا أعدائه من أمراء الشمال بكل الوسائل من أن يجتازوا جبال الألب بجيوشهم واشترط المسلمون عليه أن يعترف لهم بحق سيطرتهم على جبال الألب الرانية وأن يعوضهم عما أصاب بعض سفنهم من جراء هجوم أسطول القسطنطينية عليـه وإزاء هذا الاعتراف قام المسلمون بالسيطرة على جميع معابر جبال الألب وأصبح

المسلمون يرون أنفسهم السادة الشرعيين لهذه المعابر ، وصاروا يأخذون رسوماً من المارين والعابرين بتلك المعابر .

واستطاع المسلمون بعد ذلك التقدم من « سان برنار » والسيطرة على بلاد « فالاند » ومقاطعة فوالتى عاصمتها لوزان وسيطروا على اقاقش وكذلك فإن العرب فى عام ٩٥٥ م استطاعوا أن يواصلوا غاراتهم إلى مقاطعات « زار جانس » « وتوجنبورج » وأنسهل وأخضعوا أهالى تلك الأماكن لنفوذهم وواصلوا نفوذهم وغاراتهم حتى حدود النمسا وألمانيا و « سان جالين » وبذلك فقد أصبحوا أصحاب النفوذ والسلطة فى قلب أوربا .

حتى أنهم لم يكونوا يحدثون أنفسهم يوماً ما بإمكان أية قوة أن تكون قادرة على إخراجهم من تلك الأقاليم وأنهم لذلك عملوا على الاختلاط بسكان تلك النواحى والزواج منهم والانصهار فيهم ونشر الإسلام بينهم وسكنوا الأودية الخصبة وأدخلوا المحاصيل الجديدة واستحدثوا طرقاً جديدة فى الرى والزراعة وخزن المحاصيل وقام المسيحيون بدفع الجزية والضرائب المقررة للمسلمين وحكام الإمارات الإسلامية .

ولكن إزاء النفوذ القوى للدولة الإسلامية وازدياد عظمتها ونفوذها واتساع رقعة أراضيها على حساب الإمارات المسيحية المحيطة بها ، لذا فإن الأمراء المسيحيين المحيطين بالدولة الإسلامية عملوا فيما بينهم على نبذ الخلافات والتعاون من أجل القضاء على خطر الدولة الإسلامية وبذلك فإنهم كانوا يتحينون الفرص لكى يستطيعوا القضاء عليها ، وجاءت الفرصة مواتية لهم عام ٩٧٣ م إذ كانت هناك قافلة نصرانية تضم عدداً من أقطار مختلفة من غرب أوربا فى طريقها إلى روما عن طريق معبر « سان برنار » ويبدو أن عبورهم وهم من أقطار مختلفة كان القصد من وراءه إيجاد المبرر للهجوم على الدولة الإسلامية بعد أن كان قد عقد معهم أمير اللومبارد صلحا ، وكذلك لأن القافلة رفضت دفع الرسوم التى كان المسلمون يفرضونها على العابرين لهذا المعبر الحيوى والهام والذى يربط شمال غرب أوربا بإيطاليا ، ولما رفضت القافلة دفع الرسوم انقض عليها المسلمون

وفتكوا بعدد كبير منها وساقوا من وقع منهم أسرى إلى كهف فى الجبل وأخذ يدعونهم إلى الدخول فى الإسلام ونطق شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله وإعلان إسلامهم ثم بعد ذلك يتم إطلاق سراحهم، ولكن الأسرى رفضوا ذلك فاشترط المسلمون عليهم دفع الجزية لإطلاق سراحهم وطاف عدد من الرهبان بالإمارات النصرانية وفرنسا وانجلترا، لجمع الأموال اللازمة لإطلاق سراح الأسرى النصارى، وحض النصارى على القتال فى آن واحد ضد الدولة الإسلامية وبعد أن تم للرهبان أثاره حماس شعوبهم للقتال فى سبيل طرد المسلمين من هذه الأراضى، تم جمع الأموال اللازمة لإطلاق سراح الأسرى وصل الرهبان إلى الدولة الإسلامية، وتم دفع الجزية المطلوبة، حتى أن المصادر التاريخية تذكر أن المسلمين تقاضوا فدية قدرها ألف دينار على شخص واحد ولم يتقاضوا عن باقى الأشخاص إلا دينار واحد عن كل شخص وهذه الحادثة تعطى فكرة عن القوة التى كان يتمتع بها المسلمون فى ذلك الوقت فى فرض شروطهم فى الإستيلاء على المعابر التى تربط ايطاليا بباقى أجزاء أوربا .

وتذكر المصادر الغربية إنه كان لهذه الحادثة صدى عظيم فى كل الأقطار الأوربية وإرتفع الصراخ فى كل الإمارات المسيحية بعد عودة الأسرى بضرورة أخذ الثأر من المسلمين وتحالفت تلك الإمارات فيما بينها وبعثت بقواتها التى جاءت من شتى أقطار أوربا لقتال المسلمين، ولم يأت عام ٩٧٥ م إلا وكان النصارى قد أخرجوا المسلمين من بلاد دوفنية وغيرها من المدن الأخرى وكذلك من بروفانس ولم يبق أمام الزحف المسيحى إلا قاعدة الدولة «فراكسنيوم» التى حاصرها النصارى عدة شهور وأحكموا الحصار حولها وفى ذلك الوقت كانت الاضطرابات تسود الأندلس والصراع دائر بين الإمارات والعصبيات فلم تصل إلى الدولة الإسلامية السويسرية أية نجدات من إخوانهم المسلمين وشدد النصارى الحصار ودافع المسلمين دفاع الأبطال عن عاصمتهم ولكن النصارى استطاعوا الاستيلاء على القلعة الإسلامية الحصينة وفرت حامياتها إلى الغابات وأعالى جبال الألب بعد أن سقطت العاصمة .

ولما كانت فراكسنيوم مستودعا لجميع كنوز المسلمين وذخائرهم سواء الذين

كانوا منهم فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا، فقد أصابها الغالبون الذين كانوا من أجناس أوربية مختلفة وتقاسموها فيما بينهم ، بل أكثر من ذلك فإنهم حاولوا القضاء على كل أثر من آثار الإسلام فى تلك الديار ، وقد كان ضياع الدولة الإسلامية السويسرية مقدمة لضياع جنوب فرنسا والأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وغيرها من جزر البحر المتوسط والتى صبغت بالصبغة الاسلامية العربية .

كيف سقطت سويسرا الاسلامية :

أما كيف انتهى النفوذ الاسلامى فى سويسرا فالمعروف أن قلعة فراكسنيوم كانت القاعدة الأمامية إلى قرب نهاية القرن العاشر الميلادى وبواسطتها تحكم المسلمون فى إقليم بروفانس وفى منطقة الألب وشمال إيطاليا وبلاد سويسرا وبذلك أضحت هذه القلعة عاصمة الممتلكات الاسلامية فى تلك الأرجاء .

ولقد حاول النصارى اقتلاع تلك القاعدة الأمامية للتخلص من المسلمين فأخذ كفاحهم صورة الحروب الصليبية والوطنية وتزعم حركة الكفاح المسيحى أمير برجنديا وسويسرا الشمالية وقد استطاع النصارى حوالى عام ٩٦٠ م طرد المسلمين من جبل « سان برنار » وبعد حوالى ٢٠ عام وقع حادث أسر القديس مايور قديس دير كلونى وقافلته خلال عودته من روما على أيدى المسلمين المتحكمين فى المنطقة الواقعة فى أعالى نهر « ديرانس » وكان للمسلمين ثلاثة أبراج محصنة فى تلك المنطقة وكان لهذه الحادثة دوى كبيرة جميع أنحاء أقطار أوربا المسيحية نظراً لمكانة القديس فقام أمراء أوربا بالدعوة لقتال المسلمين واستطاعوا طرد المسلمين من هذه القلاع .

وفى نفس الوقت ثار أهالى مدينة « جاب » عاصمة الألب العليا وكان المسلمون قد بسطوا نفوذهم عليها منذ فترة طويلة واستطاعوا إجلاء المسلمين عنها وفى منطقة الالب السفلى تم طرد المسلمين من مدينة « ربى » وتقع فى شمال نهر «رون» أما القلعة « فراكسنيوم » نفسها فقد جاءت نهايتها بعد محاولات عدة ومتكررة من جانب النصارى وكان أمير بروفانس المسيحى قد استنفر أمراء الولايات المجاورة له لقتال المسلمين فهبوا معه وتوجهوا نحو فراكنسيوم وأخذوا يسدون

المسالك على المسلمين ودارت معركة بين المسلمين وبين النصارى فى مكان يقال له « تورتور » وانكسر المسلمون واضطروا إلى الالتجاء إلى الغابات المجاورة وسقط حصن فراكسنيوم .

وهكذا سقطت القلعة الاسلامية العتيدة وهى التى بقيت فى أيدى المسلمين ٨٦ عاماً (٨٨٩ — ٩٧٥م) وبزوال هذه القلعة زالت جميع الأملاك الاسلامية فى جميع هذه المناطق والتى كانوا يقيمون فيها كما زال نفوذهم فى منطقة الألب وفى سويسرا فيما وراء الألب واستولى المسيحيون على الأراضى التى كانت بأيدى المسلمين ووزع كونت وليام أمير بروفانس الكنوز الاسلامية والمغانم التى كانت تملأ الحصن بين قومه وبين القوات التى جاءت من الإمارات المختلفة وقد ظفر رجال الدين المسيحى بأغلب الأراضى والكنوز وذلك لأن رجال الدين من الكهنة والرهبان هم الذين حضوا الإمارات وقوادها على قتال المسلمين وضرورة الاستيلاء على أملاكهم وبذلك فانهم ساهموا مساهمة فعلية فى هذه الحروب التى كانت من وجهة نظر رجال الدين المسيحى حرب مقدسة ضد المسلمين .

على أن سقوط حصن فراكسنيوم الذى كان يعتبر عاصمة الدولة الاسلامية السويسرية عام ٩٧٥م لم يعنى إنهاء الوجود الاسلامى فى تلك الأقاليم ولكن ذلك كان يعنى زوال السيادة الاسلامية وكذلك نفوذهم السياسى والدينى فى تلك الأنحاء والتى كانت تعتبر دولة إسلامية فى قلب أوربا ، ولقد بقيت منهم بقايا متناثرة فى جبال الألب تسكن قمم الجبال العالية وبقيت تعيش منعزلة عن السكان حتى عام ١٠٠٠م ولكنها لم تكن ذات خطر أو أهمية .

الاثار الاسلامية فى سويسرا :

لقد ترك المسلمون آثارهم وسلالتهم واضحة قوية على الأراضى السويسرية فلا تزال توجد فى وادى فاليه قرى كثيرة أصل أهلها من العرب المسلمين أو بها قوم من سلالة المسلمين الفاتحين لتلك المناطق والذين اندمجوا مع سائر الأهالى وأنهم يعرفون من سحناتهم وإن بعض الأهالى يقولون إنهم من أصل عربى

وأنه توجد فى وادى أيفولين قرى يقال إن بها بقايا من العرب الذين اغاروا وسكنوا واستوطنوا ذلك الوادى ونشروا ديانتهم الاسلامية وحضارتهم العربية الاسلامية فى ذلك المكان وأن الدم العربى لازال يوجد فى بعض العائلات وإن سحنة أهلها لاتدل على أنهم من أصل سويسرى ، وهناك فى جبال الألب السويسرية بقايا لازت بالفرار طالبة النجاة من أيدى القوى النصرانية التى سيطرت على عاصمة الدولة الاسلامية وأنه فى جنوب الألب ترك المسلمون والعرب بعض الأسماء التى لا تزال تطلق على المدن والقرى مثل على العين ، فى وادى تراس ، وألب العين فى وادى زاس أيضا وبلده الماجل فى وادى فورس وكذلك مشابل ، وهذه الألفاظ عربية إسلامية لا ريب فيها وتوجد غيرها أسماء عربية كثيرة لبعض القرى الكبيرة فى شمال الألب . وقد ترك العرب آثار عظيمة فى هذه الأماكن مما يدل على عظمة الحضارة الاسلامية وقوة تأثيرها ومنها المعاقل والحصون والأبراج والقلاع . كذلك فإن المسلمين فى إقليم بروفانس هم الذين زرعوا شجر البلوط ولا تزال توجد غابة تنسب إليهم كما كانوا هم الذين استخرجوا القار من أشجار الصنوبر .

كذلك فى مقاطعة لوزان نجد حصن برج العرب عند فيفامى ودهليز العرب، وغار العرب بالقرب من لوسنس ، وفى فيلبورج يوجد حائط العرب وجاء ذكر هذه الأماكن الأثرية وغيرها من الآثار الكثيرة فى تاريخ سويسرا وأنه لا تزال توجد حتى اليوم فى جبال الألب السويسرية والقريبة من حدود ألمانيا عدد من القلاع والأسوار والحصون الضخمة والفخمة وكذلك القنوات والجسور والتى يقول الإدلاء للسياح الأجانب الذين يأتون لزيارة هذه الأماكن عنها أنها ترجع للفتح العربى لسويسرا كذلك فإن كثير من الأماكن وردت أسمائها فى دليل « بيدكر » عن سويسرا تدل على أنها من أصل عربى .

وأيضا بالقرب من بحيرة جنيف وعلى مسافة قريبة من دوفيليه إلى الشمال الغربى منها يوجد على مقربة من الطريق غار يقال له غار العرب ، وان أهالى هذه الأماكن يروون بالتواتر نقلا عن آبائهم أن هذا المكان كان يخضع للعرب

وتوجد بالقرب منه ثلاثة قصور وطريق معبد ومطحنة ووادى صغير وجندلان من كبار الجنادل وكلها منسوبة إلى العرب .

وفى جنيف وبازل لا تزال توجد من تدل سحناتهم على العروبة والإسلام ومن أشهر من انتسب إلى أصل عربى فى جنيف العلامة الفيلسوف ابن أبى زيد وكان أهل سويسرا يقولون له أبو زيت وأصله عربى من طولوز وكان أصله من العرب وكان معاصر الفولتير وكانت له المكانة العليا فى سويسرا وكان هذا العلامة يفخر بأصله العربى الإسلامى بل أنه كان زاهداً عظيم التواضع معرضا عن الدنيا وفى جنيف اليوم شارع مشهور باسم أبى زيد .

وتلك هى قصة الإسلام والمسلمين فى سويسرا نضعها بين يدى مسلمى اليوم لكى يعتصموا بحبل الله ويعملوا على جمع كلمتهم واتحاد أمتهم الاسلامية ومجابهة الأخطار المحدقة بهم وإلا ضاعت بلادهم ، كما ضاعت سويسرا وغيرها من البلاد الأوربية التى ارتفع فوقها علم الإسلام والعروبة .

والواقع أن دراسة الإسلام والمسلمين فى سويسرا تختلف عن غيرها من الدراسات الإسلامية الأخرى فى بلاد القارة الأوربية ذلك لأن كتب التاريخ العربى لم تتناول بالقرب أو البعد الحديث عن فتح العرب لسويسرا بل ربما أن الكتب التى كتبها المؤرخون المسلمون عن الاسلام فى سويسرا لم تصل إلى أيدينا أو ضاعت مثل غيرها من المخطوطات عندما سيطرت الأمم النصرانية على هذه البلاد .

ومن هنا فإنه يجب على كل مسلم صميم أن يبحث عن تاريخ قومه وآثارهم فى تلك الاقصاع الأوربية وأن يعرف حلقة من حلقات بسط لواء الإسلام فى كل القارة الأوربية ذلك لأن الجهاد الإسلامى جعل الأجداد يبذلون الدم والمال فى سبيل نشر الدين الاسلامى الحنيف على ربوع أوربا ذلك لأن المسلمين الأوائل كانوا يرون فى الجهاد أما ضم هذه البلاد إلى رقعة العالم الاسلامى وإما الاستشهاد وضمان الجنة .

ولقد أشار إلى تاريخ غزوات العرب فى سويسرا كاتب سويسرى هو

«فرديناند كاير» وجاء الحديث عن الإسلام والمسلمين مليئاً بالمغالطات التاريخية والتجنى على الاسلام وإظهار الحقد على الاسلام ولم يظهر فضل الاسلام على سويسرا وعلى غيرها من الدول الأوربية والكاتب فى أسلوبه البغيض الذى امتاز به رجال الدين المسيحى فى العصور الوسطى من تعصب أعمى ضد الدين الاسلامى السمح، الحق، العدل الذى هو خاتم الرسالات السماوية، وللأسف فإن الأمير شكيب أرسلان اعتمد على هذا الكتاب فى الحديث عن تاريخ غزوات العرب فى سويسرا، دون أن يحاول تفنيد أباطيل هذا الكتاب أو أن يمحص حقائقه التاريخية ويبين للقراء العربية مآثر المسلمين وفضلهم على سويسرا، طوال الفترة الزمنية التى طال استقرارهم بها رغم اعتراف بعض المصادر الأجنبية بتلك المآثر.

المسلمون فى سويسرا اليوم:

إذا كانت القوى المسيحية قد استطاعت أن تتعاون فيما بينها وتقضى على دعائم دولة إسلامية قامت فى أرض سويسرا فى القرن العاشر الميلادى إلا أن نداء الحق والإيمان قد عاد أدراجه إلى حيث ما كان ليرتفع نداء الله أكبر فى سويسرا من جديد فإذا كان فى المرة الأولى قد فرض النفوذ الاسلامى وجوده كقوة سياسية ودينية وحضارية وثقافية فى تلك الاقصاع من القارة الأوربية إلا أننا نستطيع القول أن القوى الاسلامية التى تظهر اليوم فى سويسرا تشكل مداً إسلامياً جديداً وبعثاً حضارياً للأمة الاسلامية بصورة تختلف فى بعض الأشياء عن الصورة الماضية ذلك لأن صورة الوجود الاسلامى اليوم هى صورة بعث إسلامى دينى يستمد مقوماته من حركة الهجرة الاسلامية إلى تلك الديار وحركة العلاقات الدبلوماسية والعمل والدراسة بالاضافة إلى أهم عنصر وهو إيمان بعض الأفراد من الشعب السويسرى بالدين الاسلامى واعتناقه عن رضا وقناعة إيماناً بعدل مبادئه وصدق كتابه ودعوة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ونستطيع القول أن عدد المسلمين الذين يعيشون فى سويسرا اليوم ١٩٧٨م يقدر بحوالى (٤٠٠٠٠ نسمة) أربعين ألف نسمة منهم حوالى ٧ آلاف مسلم من أصل سويسرى أو من الذين حصلوا على الجنسية السويسرية، كذلك حوالى

٢٣ ألف نسمة من البعثات الدبلوماسية والدولية والعمال والطلبة بالإضافة إلى عشرة آلاف شخص يقيمون إقامة دائمة كالتجارة أو حق اللجوء السياسى وهؤلاء المسلمون جميعاً يكونون قوة بشرية لابأس بها وبإذن الله سوف تكون هذه النواة بداية لانتشار إسلامى لاسيما من الفئة الأولى الذين هم أصلا من الشعب السويسرى والذين اعتنقوا الدين الإسلامى عن دراسة عميقة ومنهم كثيراً من العلماء والدارسين المهتمين بالدراسات الشرقية والإسلامية والمستشرقين كذلك ننتشر بين هؤلاء المسلمين بعض الطرق الصوفية التى جاءت من شمال أفريقيا إلى تلك الأنحاء ولما كانت سويسرا بلد أوربيا مفتوحاً لكل الأجناس نظراً لحيادها الدولى فإن المد الإسلامى بها سوف يبشر بمستقبل رائع وإن كان يوجد لدى الاغلبية العظمى من الشعب عداء وتعصب ضد الاسلام ورثوه من العصور الصليبية القديمة ومن وجود تلك الدولة يوماً تحت المد الإسلامى إلا إن العلاقات القوية مع البلدان العربية والإسلامية سوف تساعد على كسر حدة التعصب المسيحى .

التنظيم الاسلامى للجماعات الاسلامية :

على الرغم من أن سويسرا لاتظهر العداء للاسلام ولا للمسلمين على المستوى الرسمى إلا إنه حتى الآن لاتوجد منظمات إسلامية ذات صفة رسمية تستطيع أن تمارس دورها الفعال فى ربط هذه الاعداد الإسلامية فى تلك الديار .

إلا أنه قد بدأ يظهر فى الآونة الأخيرة وبعد السبعينات اتجاه لدى بعض الأفراد الذين يسعون لأجل الدعوة للاسلام إلى العمل على تكوين جمعية إسلامية وقد استطاعوا الحصول على تسجيل رسمى وقانونى لهذه الجمعية حتى تأخذ صفة رسمية من الجهات المسئولة فى البلاد وتعمل تلك الجمعية التى تتكون من شخصيات مختلفة المهن والاعمال على بناء مركز إسلامى وكذلك بناء مسجد كبير فى العاصمة برن وأيضاً مسجد فى جنيف حيث تتمركز أكثر الاعداد الاسلامية وحصلت الجمعية على موافقة الحكومة على بناء هذين المسجدين كذلك فإن الجمعية تقوم فى مقر مؤقت بإنشاء مدرسة فى المركز الاسلامى لتعليم أبناء المسلمين مبادىء الدين الاسلامى واللغة العربية ويصل عدد التلاميذ فى تلك المدرسة حوالى ٥٠ تلميذ

وللجمعية نشاط ملحوظ بين الأوساط الاسلامية وغير الاسلامية وتنوى الجمعية إصدار مجلة شهرية تلقى الضوء على الإسلام وتبين نشاط الجمعية للشعب السويسرى وخاصة للجالية الإسلامية فى بلاد الشرق الإسلامى لهذه الجمعيات ومديد العون المادى والأدبى لمثل هذه الجمعيات .

الإسلام والمسلمون فى جزيرة سردنية

لقد كان الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه أول واضح لخطة الفتوحات الإسلامية فى أوربا ، ذلك لأنه ندب أخاه فى الرضاعة عبد الله بن أبى سرح لفتح شمال أفريقيا ووافته البشائر بفوز جيوشه على جيوش البيزنطيين ، كذلك ندب عبد الله بن عبد القيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين وكانا على الأسطول ، فأمرهما بالسير إلى الأندلس وكتب لهما وصية سياسية تلك الوصية الخالدة التى يقول فيها أن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وأنكم إن فتحتم ما أنتم بسبيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطينية فى الأجر ، وأن أول أمير شرع فى إعداد الوسائل والمعدات لتنفيذ فتح أوربا هو حسان بن النعمان بعد أن دان له شمال أفريقيا بالطاعة .

ولقد كان فتح أوربا يستوجب غزو الجزر الواقعة فى البحر المتوسط لاتخاذها مواقع يسهل إمداد الأسطول منها بعد أن أتما موسى بن نصير وطارق بن زياد فتح الأندلس واستتب لهما الأمر فى البلاد بعد القضاء على الجيوب الشمالية من شبه جزيرة إيبريا فان موسى أرسل عدداً من جندة لفتح جزيرة سردانية وقد استطاعت هذه القوات الاسلامية المؤمنة برسالة ربها العاملة على نشر لواء الإسلام فى شتى بقاع الأرض أن تستولى على الجزيرة وكان ذلك عام ٩٢ هـ / ٧٢٢ م وليس هناك شك فى أن أول غزوة يقوم بها الأسطول الإسلامى القليل العدد لسردنية وذلك لبعد الجزيرة عن مقر الخلافة الأموية فى دمشق وأيضا لبعدها عن سواحل الشمال الأفريقى التى دانت بلاده للاسلام ، وتذكر المصادر التاريخية ان سردنية قد تم غزوها بأربعة سفن فقط قامت بنقل الجنود والمعدات اللازمة للفتح ، وهذا يدل على جراءة المسلمين ومدى حماسهم فى نشر العقيدة الإسلامية السمحة .

كذلك فإنه يمكن القول أن غزو سردنية كان الهدف من وراءه هو اتخاذ تلك الجزيرة قاعدة للانطلاق منها لغزو الأراضى الفرنسية من الجنوب وغزو إيطاليا من الغرب إذ أن موقع الجزيرة يجعلها نقطة وقاعدة للانطلاق منها إلى هذه الأماكن وغيرها من بلاد غرب أوربا، ولقد كانت جزائر سردنية وكورسيكا وصقلية أثناء تلك الحملة تابعة لحكم الدولة البيزنطية فى القسطنطينية ، ولذا فان العرب فى بداية غزوهم لها لم يكن يقصدون من ذلك الغزو والاستقرار والاستطيان بل أنهم كانوا يكتفون بالانقضاض عليها من الأطراف ومهاجمة المدن الواقعة على الساحل ولكنهم فيما بعد أخذوا يتوغلون إلى الداخل وداسوا خلال المدن والديار .

وقد ذكر الادريسى فى كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أن بحر الروم به عدة جزر معمورة ومشهورة ومن هذه الجزر جزيرة سردنية وهى جزيرة كبيرة القطر ، كثيرة الجبال قليلة المياه وطولها مائتان وثمانون ميلا وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلا وبها ثلاث مدن كبرى منها القبطنة وهى فى الناحية الجنوبية وهى مدينة عامرة راقية بها المبانى العظيمة وبها مدينة « فالموه » وهى رأس المجاز إلى جزيرة كورسيكا والمدينة الثالثة تسمى « قشتاله » بالإضافة إلى عدد من القرى الصغيرة وسردنية جزيرة كثيرة الفواكه أرضها خصبة وهى ثانى جزر البحر المتوسط حجما بعد صقلية ونظراً لعدم تعرج سواحلها فإن موانيها قليلة ومن ثم قلت صلاحيتها للملاحة ويوجد بشواطئها كثيراً من المستنقعات مما حمل سكانها على الانحياز للمرتفعات الداخلية ، على أن شواطئها الغربية والجنوبية صالحة للملاحة مما جعلها هدفا للمسلمين من ناحية الجنوب ومن ناحية الأندلس ، وقد احتلها الرومان واتخذوها منفى ومن بعدهم احتلها الوندال عام ٤٧٦ م ثم البيزنطين وظلت سردنية فى يد البيزنطين حتى القرن العاشر الميلادى وبها عدة أنهار قصيرة وبها المياه العذبة وهى كثيرة المراعى .

مراحل الغزو :

وكان الجند الإسلامى الذى غزا الجزيرة فى عهد موسى بن نصير قد دخلوها عمداً بعد أن أخضعوا قومها من النصارى ، ومن ذلك الوقت أصبحت جزيرة

سردنية وكورسيكا معرضة لغزوات المسلمين بحيث أن أهالى الجزيرة وضعوا أنفسهم تحت حماية شرلمان حفيد شارل مارتل إمبراطور الفرنجة لأن حماية الدولة البيزنطية فى القسطنطينية والتى تركتهم وشأنهم يواجهون الغزوات التى يشنها العرب المتكررة على الجزيرة والتى كانت تقتل رجالهم وتسبى نساءهم وتستولى على بلادهم لم تعد تحميهم من المسلمين .

وذكر بعض مؤرخى النصارى أن بعض أهالى هذه الجزائر — سردنية — كانوا قد تغلبوا فى إحدى الغزوات على المسلمين وأخذوا منهم بعض الرايات الإسلامية وأرسلوا بها إلى شرلمان الذى قبل حمايتهم من الغزو الاسلامى وعلى أثر تلك الغزوات وحماية شرلمان لهم ازداد غزو المسلمين لهذه الجزائر — سردنية كورسيكا — فكانوا يغادرونها القتال ويراوحونها ويسبون من أهلها النساء والأطفال ويقتلون المقاتلين ولم يكونوا يعفون إلا عن العاجزين والمرضى والمقعدين .

وقد ذكر ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر وأخبارها ، يقول أن أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا فى البحر وإنما أهل سردنية وذلك حينما غزاهم المسلمون وسنعرض لتلك القصة .

وقال ابن قتيبة عن قصة غزوها ، لقد قدم عطاء بن نافع الهذلى فى مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عمر بن عبد العزيز إلى سردنية فارساً بسفته من سوسه فى شمال أفريقيا وأخرج إليهم موسى بن نصير ، الأشراف وكتب له أن ركوب البحر قد فات هذا العام ، فاقم ولا تغزو بنفسك ، فاقم مكانك حتى تطيب ركوب البحر ، فلم يرفع عطاء بكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى أتى الجزيرة ففتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ، ثم انصرف قافلا فأصابته ريح عاصفة فغرق عطاء وأصيب الناس ووقعوا بساحل أفريقيا فلم بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق فى خيل إلى سواحل البحر تفقد ما ألقى البحر من سفن عطاء وأصحابه فأصاب تابوتا به اللؤلؤ والجواهر والدنانير .

ومن تلك الرواية يتبين لنا أن غزوا جزيرة سردنية قد تم على سفن مصرية

جاءت من مصر وأضيفت إليها قوات من شمال أفريقيا وأن غزوها قد تم قبل فتح الأندلس ولكن ابن قتيبه لم يحدد لنا تاريخ الغزوة ولكن مهما يكن فهى إضافة إلى مجد الإسلام البحرى من أجل نشر الرسالة الخالدة ومن الثابت تاريخياً إن غزوها قد تم بعد فتح الأندلس ، ومن هنا فإن تلك الراية ضعيفة السند .

المسلمون وغنائم الجزيرة :

ويذكر ابن الأثير أن المسلمون لما دخلوا الجزيرة عمد النصارى إلى مالهم من أموال ووضعوها فى آنية من الذهب أو الفضة وألقوا بها جميعاً فى الميناء الذى لهم بعد أن حصروا الماء عنه ثم أعادوه إلى حالته الأولى وبعضاً منهم جعلوا أموالهم فى سقف كنيسة لهم بعد أن جعلوا لها سقفاً من دون سقفها الأصلى وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، وتصادف أن نزل رجل من المسلمين فى الماء يغتسل ، فوقعت رجله على شىء فأخرجه فإذا صفحة من فضة ثم غاص أيضاً فأخرج شيئاً آخر فعلم المسلمون بذلك فقاموا بحبس الماء عن ذلك الموضع وأخذوا جميع تلك الآنية ودخل رجل من المسلمين إلى تلك الكنيسة التى وضعت بها الأموال فنظر إلى حمام فرماه بسهم فأخطأه السهم ووقع فى السقف ، وانكسر لوح فنزل منه شىء من الدنانير وأخذوا المسلمون جميع الأموال وازدادوا غلوا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى ما فى جوفها فيملأه دنانير ويخيط عليه ويلقيها فى الطريق فإذا خرج أخذها (يلاحظ هنا اختلاق تلك الروايات) وكان يملأ كل فرد قائم سيفه ذهباً ، فلما ركبوا البحر غرقت سفنهم ، وقد اتفقت أكثر المصادر الإسلامية فى ذكر تلك القصة، ولكن قد تكون تلك الرواية من اختلاق بعض النصارى وأخذها عنهم بعض المسلمين ، إذ أن تلك الرواية بصورتها هذه تبين أن المسلمين كان غرضهم من أجل الغزو هو الاستيلاء على الغنائم والأموال وهذا يتنافى مع الهدف الأسمى والغاية النبيلة من الجهاد الإسلامى والغزو فى سبيل الله وهو نشر الدين الإسلامى الحنيف فى تلك الجزر ورفع راية لا إله إلا الله فوق ربوعها وضمها لدولة الإسلام الكبرى واتخاذها موقع متقدم للزحف منه لغزو الأراضى الأوربية ونشر الدين الإسلامى فى كل ربوعها .

مواصلة الغزو :

ومنذ عام ١٣٥هـ توالت الغزوات الإسلامية للجزيرة فقد غزاها عبد الرحمن حبيب بن أبي عبيدة الفهرى فقتل بها قتالا شديداً مع أهلها من الكفار الذين كانوا ينوون ألا يسمحون للمسلمين بغزو جزيرتهم ولكن عندما هزموا صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت كذلك وفى عام ٢٠٢هـ/ ٨٠٦م اكتسح المسلمون جزيرة سردنية وكورسيكا وكان بنين بن شرلمان ملكا على إيطاليا (ضم إيطاليا إلى أملاكه الواسعة) فأرسل أسطولا لمطاردة المسلمين، فلما شعر المسلمين بدنو أسطول النصارى، انسحبوا إلى الوراء فطمع فيهم أسطول النصارى فرجع إليهم أسطول المسلمين، فقاتلوا أسطول بنين وهزموه شر هزيمة وأسروا عدداً كبيراً من رجال بحريته، وفى عام ٨٠٨م جاء عرب الأندلس، فنزلوا سردنية فاجتمع أهلها بمساعدة أسطول جنوة وغيرها من أساطيل المدن الإيطالية، فاندحر المسلمون ولكن فى عام ٣٢٣هـ/ ٨٠٩م أخرج إليها المنصور ابن القائم العلوى صاحب أفريقية، أسطولا من المهدية، ففتحوا سردنية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وضربوا مدينة جنوة وغنموا ما فيها.

الغزو والاستقرار :

وفى تلك الفترة قرر المسلمون غزو الجزيرة والاستقرار النهائى بها وعدم العودة مرة أخرى من حيث أتوا وذلك لكى يتأخذوا سردانية نقطة وثوب على الأماكن الأوربية الجنوبية، فضلا عن الهدف البعيد وهو إنشاء قواعد إسلامية فى عرض البحر لجعل البحر المتوسط بحراً إسلامياً وقد حدث أن قام فى عام ٣٤٦هـ مجاهد العامرى بأسطول مكون من مائة وعشرين سفينة لغزو الجزيرة وكان معه ألف جواد وكان مشروعه للفتح والاستقرار النهائى، وفتحها وقتل ما آلت إليه يده من الرجال المقاتلين وسبا النساء والذرية، والراجح أن مجاهد نزل بالقرب من مدينة كالبارى، وكانت المعركة رهيبة قتل فيها الكثير وأسر الكثير ولاسيما من جانب النصارى وفيها قتل قائد أهل سردنية واستطاع مجاهد أن يسيطر على جزء كبير من الجزيرة وأن يصل إلى المناطق الجبلية ويسيطر

على كثير من المعاقل والحصون ، كذلك فإن مجاهد العامرى أقام بالجزيرة الكثير من الحصون والقلاع واختط مدينة واسعة وشرع فى بنائها وانتقل إليها بأهله وولده وشجع المسلمون على السكنى بها .

وتذكر الروايات النصرانية إنه لما سمع بذلك ملوك الروم اجتمعوا فيما بينهم وساروا من البر الكبير (إيطاليا) فى جمع عظيم من السفن والرجال ، فاقتتلوا وانهزم المسلمون وأخرجوا من الجزيرة وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه على بن مجاهد ولكن مجاهد رجع بمن معه إلى دانيه ويبدو أن هجوم القوى النصرانية قد تم بدون علم المسلمين فلو أنهم علموا بذلك الغزو لأخذوا حيطتهم وهزموا المشركين ولكن تلك المصادر لم تذكر لنا فى أية عام تمت تلك الغزوة التى قام بها أهل إيطاليا لسردنية .

ولقد سبقت تلك الغزوة غزوة تمت فى عام ٢٠١ هـ ، فى ولاية زيادة الله بن إبراهيم الأغلبى حاكم تونس والذى فتحت صقلية فى عهده وزادت قوة الأسطول الإسلامى ونفوذه فى البحر الأبيض المتوسط ، فإنه تم تجهيز أسطولا بحرياً مؤلفاً من عدة مراكب أخذت وجهتها إلى سردنيه على أمل أن يتم فتحها كما تم فتح جزيرة صقلية ولكن بعضاً من هذه السفن قد عطبت فى عرض البحر أثر هبوب عاصفة قوية ولكن البقية الباقية من سفن الأغالبة واصلت سيرها إلى سردنية واستطاع رجالها أن ينزلوا بالجزيرة وأن يتم لهم الاستيلاء على أجزاء كثيرة منها وأن تغنم الحملة مغانم كثيرة من الروم وتقتل أعداداً كثيرة منهم أيضاً .

وذكر ابن عذارى المراكشى فى كتابة البيان المغرب فى أخبار المغرب إنه فى عام ٢٠٦ هـ / غزا المسلمون من أفريقيا جزيرة سردنية وكان على رأس تلك الغزوة الميمونة محمد بن عبد الله التميمى ففتحوا الجزيرة وأصابوا من الكفار التميمى خلقاً كثيراً ثم عادوا .

كذلك فإنه فى عام ٢١١ هـ/٨٤٦م عندما قرر المسلمون فتح وغزو روما عاصمة المسيحية ، انفقت الوحدات الإسلامية البحرية المقاتلة من جزيرة صقلية

والأندلس وكريت وشمال أفريقيا فيما بينهما على أن تتوحد القيادة الإسلامية في جهة واحدة وأن يكون مركز تجمع الأسطول الإسلامي جزيرة سردنية وذلك لكي تتجه الأساطيل الإسلامية مجتمعة لتنفيذ خطة الهجوم المتفق عليها وهذا يبين لنا أن سردنية كانت في ذلك الوقت تخضع لسيطرة المسلمين الكاملة وأنهم كانوا يقيمون بها الاستحكامات القوية وأنها اتخذت محطة لتموين السفن الإسلامية .

ومن هذا العرض لدور الإسلام والمسلمين في سردنية يتضح أن تلك الجزيرة كانت منذ أن استتب الأمر للمسلمين في أفريقيا والأندلس محطاً لأنظارهم لما تتمتع به من موقع وأهمية استراتيجية في غرب البحر المتوسط وخاصة تزداد أهميتها للغزوات المتجه لفرنسا وإيطاليا ومن هنا فإن المسلمون كانوا ينظرون إليها على أنها محطة لتجمع وحداتهم البحرية المهاجمة لسواحل فرنسا وإيطاليا وأيضاً فإنه يتضح لنا أن استقرار المسلمين بها لم يكن لفترة زمنية طويلة مثل غيرها من الجزر الأخرى الواقعة في البحر الأبيض المتوسط والتي خضعت للسيادة الإسلامية فترة طويلة من الزمن ، ولكن هناك أدلة قوية على أن المسلمين استقروا بها ونشروا دينهم الاسلامي وحضارتهم الزاهرة والدليل على ذلك إنه توجد في ولاية غاليري من ولايات سردنية قرى أهل سكانها من العرب وأنه توجد آثار إسلامية في لوثرة في جنوب الجزيرة وغيرها من الآثار والمظاهر الاسلامية ، وهذه أدلة كافية على استقرار المسلمين بها فترة من الزمن ولكن يبدو أن السيطرة على الجزيرة كانت سجالا بين العرب والروم ، وأنه مهما يكن من الأمر فإن سردنية خضعت مثل غيرها من جز البحر المتوسط للمد الاسلامي في فترة السيطرة البحرية الاسلامية في حوض البحر المتوسط وفي فترة المد الاسلامي على أوربا .

والحقيقة العلمية تقول أنه ربما كان أصلح تعبير للغزوات الاسلامية التي تعرضت لها جزيرة سردنية حتى أنها كانت أقرب للموجات الاسلامية منها للغزو والاستقرار البعيد المدى ذلك لأنه كانت تتكرر على شواطىء الجزيرة دون أن يتمكن المسلمون من تثبيت أقدامهم فيها بسبب عدم ملائمة المناخ وشدة كفاح أهل الجزيرة وخاصة سكان الجبال وكثرة الأمواج على شواطئها ومن أجل هذا

لم تتأثر سردنية كغيرها من البلاد والجزر التى وطئها المسلمون من حيث الثقافة أو الدين أو الفن والحضارة .

لكن كل العمليات العسكرية والحربية الاسلامية التى كان يقوم الأسطول الإسلامى ورجاله بها لغزو الجزيرة أدت إلى قطع العلاقات بين بيزنطية وجزيرة سردنية وتقاعست بيزنطة عن نصرتها فاعتمد أهل سردنية على أنفسهم وأمدهم الفرنجة أحياناً بالمساعدات كما ساعدتهم جمهوريات إيطاليا البحرية مثل جنوة والبندقة وبيزا لكن الفتح الاسلامى الحقيقى لجزيرة سردنية تم فى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى على يد مجاهد الدانى العامرى وفيما يتعلق بإزالة النفوذ الاسلامى فيها فإنه تم على يد حلف من بيزا وجنوة اللتين أغراهما الانتصار على يد مجاهد العامرى عام ١٠٦٦م فتابعا السير بالقوات البحرية الخاصة بهما نحو جزيرة سردنية ، والواقع أن مجاهد العامرى قد لاقى الكثير من الصعوبات فى حكم جزيرة سردنية نتيجة تمرد بعض رجال من أسطوله بسبب رغبته فى الاستمرار فى الغزو والجهاد فى سبيل الله (يلاحظ أن مجاهد كان نصرانياً ثم أعلن إسلامه) ، وفى ذلك الوقت أخذ مجاهد يفكر فى خطة الانسحاب من الجزيرة قبل دخول قوات الفرنجة والامارات الايطالية المشتركة ، نظراً لضعف مركزه فى الجزيرة ولعدم رغبة الكثيرين من رجاله فى الاستمرار بالجزيرة ولكن مجاهد صمم على الانسحاب وعلى الرغم من نصيحة قائدة البحرى بعدم الانسحاب ، فإن مجاهد نفذ الانسحاب ولكن وهو فى طريق العودة إلى دانية تعرض لعاصفة بحرية قوية فاضطر إلى الارتداد مرة أخرى إلى سردنية لمحاولة الالتجاء إلى مكان أمين يحتمى فيه بسفنه غير أن المكان الذى لجأ إليه مجاهد لم يكن مكان ملائم لرسو السفن واشتدت العاصفة ووصلت سفن الأعداء إلى سردنية ودارت معركة ووقعت الكارثة التى لم تكن متوقعة ولم ينجو من سفنه إلا عدد قليل جداً وقتل جندة ورجاله عدداً كثيراً ومنهن نسائه وبناته وأسر ولدة على ولم ينجوا من الأسطول الاسلامى إلا خمس سفن وأربع قوارب صغيرة ، ولم يفكر مجاهد بعد ذلك فى غزو سردنية بعد الكارثة التى تعرض لها أسطوله ومات مجاهد عام ١٠٤٥ م .

ولكن بعد ذلك بوقت قصير حدث نزاع وصراع بين جنوة وبيزة حول

الجزيرة وأحقية من فيها فى فرض السيادة عليها ، فأتيحت للمسلمين العودة إليها وتم غزوها عام ١٠٥٠م ولكن السيطرة الاسلامية على الجزيرة كانت مؤقتة وفى نفس العام المذكور تعاونت جنوة و بيزة على إزالة السيادة الإسلامية عن جزيرة كورسيكا ، ويلاحظون هذا العرض لقصة الاسلام والمسلمون فى جزيرة سردنية كيف أن الوحدات المسيحية وخاصة من إيطاليا كانت تتعاون فيما بينها عندما تشعر بالخطر الإسلامى يتهددها فى تلك الأنحاء من البحر والمتوسط وتلك هى لمحة بسيطة وموجزة عن الإسلام والمسلمين فى جزيرة سردنية أردنا بها أن نضع أمام القارىء العربى والمسلم جزء من كفاح الأجداد الطويل من أجل نشر لوء الاسلام على الأجزاء الجنوبية من القارة الأوربية .

الاسلام والمسلمون فى جزر البليار

أنه لم يأتى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلا والمسلمون كانوا هم وأساطيلهم سادة البحر الأبيض المتوسط ولم يعد هناك أثر للأسطول البيزنطى ولا لغيره من أساطيل الإمارات الايطالية (بيزا ـ جنوة ـ البندقية) حتى إننا نجد عبد الرحمن بن خلدون يتحدث عن عظمة المسلمين فى البحر المتوسط فيقول كان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هـــذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشىء من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقـــامات المعلومات من الفتح وامتلكوا سائر الجزائر المتقطعة عن الساحل فيه .

وفى ذلك يقول آدم متز عن عظمة البحرية الاسلامية لم يكن لأوربا سلطان على البحر المتوسط خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين فقد كان بحراً إسلاميا خالصا وكان لمن يريد أن يقضى فيه لنفسه امر أن يخطب ود المسلمين فقد سيطروا على كل جزيرة فيه من قبرص شرقاً إلى جزر البليار غربا وسيطروا على البحار الضيقة فيه فمثلا سدت جزيرة كريت مدخل بحر إيجة وسدت جزيرة صقلية مدخل البحر التيرانى وسدت جزر البليار خليج ليبوتر .

وهكذا أصبحت الشعوب العربية الاسلامية كما يذكر ذلك المؤرخ والأمريكى المعاصر ارشبيا ليدلويس فى كتاب القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط سيدة البحر الأبيض ومالكة زمام طرق التجارة الدولية فيه ، وذلك يرجع لسيطرتها الكاملة والتامة على كل الجزر الواقعة فى البحر ولقوة الأسطول الاسلامى وعزيمة رجاله الأشداء الذين مرنوا البحر وتدربوا عليه وأصبحوا سادة البحرية العالمية وأصبحت تلك الجزر خط الدفاع الأول عن كل السواحل الاسلامية المطلة على البحر المتوسط وخط هجوم على البلاد الأوربية التى كان المسلمون يضعون هدفهم ومخططهم بسط لواء الاسلام على كل تلك البلاد وإطوائها تحت راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

جزائر البليار :

هى من جزائر حوض البحر الأبيض المتوسط الغربى وتعرف باسم الجزائر الشرقية لوقوعها شرق الأندلس وأهم جزرها هى ميورقة منورقة يابسة، أما ميورقة فهى بالفتح ثم بالضم وسكون الواو والراء ، يلتقى فيه ساكنان وقاف ، وهى جزيرة فى شرق الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة بالنون وهى جزيرة عامرة شرق الأندلس . ويابسة وهى تأنيث الشىء اليابس ضد الندى وهى جزيرة نحو الأندلس فى طريق من يقلع من دانيه فى المراكب يريد ميورقة فيلقاها قبلها وهى كثيرة الزبيب فيها تنشأ أكثر المراكب لجودة خشبها وهذا ما ذكره ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان عن هذه الجزيرة التى تعتبر أهم جزائر البليار .

ولما كانت هذه الجزر تقع بالقرب من الساحل الشرقى لأسبانيا (الأندلس بعد الفتح الاسلامى) فقط ارتبطت تاريخيا بتاريخ شبه جزيرة إيبيريا على مر العصور والدهور وقد تعرضت للغزو مثل باقى الجزر البحر المتوسط ووقعت تحت نفوذ وسيطرة الإغريق ثم الفنيقين فالرومان فالبيزنطين ، وهذه الجزائر تشتهر بجمالها الطبيعى وخصوبة أرضها وإن كانت لم تستقل الاستقلال الكافى فى تلك العصور وبعض جزرها بها أماكن صالحة لحماية الأساطيل .

مراحل الغزو الاسلامى :

تذكر المصادر العربية الاسلامية والأجنبية أن هذه الجزر قد تعرضت للغزو الاسلامى بمجرد استقرار الأمر للمسلمين فى أفريقيا والمغرب ، إذ أرسل موسى ابن نصير والى أفريقيا قوة بحرية بقيادة ابنه عبد الله فغزا جزيرة ميورقة وهى أكبر هذه الجزر وإن كانت بعض المصادر تذكر أن فتح هذه الجزر لم يتم إلا بعد أن توطد النفوذ الاسلامى فى الأندلس ويستدلون على ذلك بأن موسى بن نصير لم تكن لديه القوة البحرية الاسلامية الكافية حتى يستطيع أن يقوم بغزو هذه الجزر لا سيما أن الأسطول البيزنطى كانت له قوته وهيبته فى غرب البحر الأبيض المتوسط ثم إن موسى بن نصير لم تكن لديه القوة البحرية الكافية بدليل أن القوات الاسلامية المجاهدة فى سبيل الله والتى عبرت مضيق جبل طارق بقيادة طارق بن زياد ، قد تم نقلها فى أربعة سفن فقط ولم تكن ملك المسلمين بل كانت ملكا لأحد أمراء القوط المنشقين على لذريف حاكم أسبانيا .

ولقد تكرر غزو هذه الجزر دون الاستقرار بها ، إذ كان الغزو يتم لأجل إرهاب البيزنطيين وإظهاراً لقوة المسلمين ، وقد قامت غزوة إسلامية ووجهها إليها الحكم بن هشام الأموى بالأندلس عام ١٨٤هـ ٧٩٨ م فاستعان أهل هذه الجزر بشرلمان صاحب معركة بلاط الشهداء والذى أوقف المد الاسلامى الجارف بقيادة عبد الرحمن الغافقى فى معركة بلاط الشهداء ونجحت مساعدة شرلمان لأهل هذه الجزر فى أبعاد المسلمين عنها لفترة طويلة ،وذلك لأن العمليات البحرية للأسطول الاسلامى فى الأندلس كانت قد اتسعت اتساعا كبيراً فى غرب البحر المتوسط حتى شملت معظم الجزر والدليل على ذلك الغارة التى تمت عام ٧٩٨ م على هذه الجزر والتى يبدو منها أن جزر البليار قد تخلت عن تحالفها مع بيزنطة .

وفى الفترة من عام ٨٠٦ — ٨١٥م قام الأسطول الاسلامى بهجمات بحرية منتظمة على جزر البليار وكورسيكا والشواطىء الكارولنجية بل أنه فى عام ٨٠٦م قام الأسطول الاسلامى بطرد إحدى الفرق العسكرية التى كانت قد وضعها ابن شرلمان لحماية أهل هذه الجزر من الهجمات التى ربما يقوم بها الأسطول الاسلامى،

ولكن هناك أقوال تقول هل خضعت جزر البليار لسيادة شرلمان أم لا ، بعض المصادر تقول أنه كان هناك تعاون بين أهل الجزر وبين شرلمان ولكن أرشيباليد لويس يذكر أنه بعد وفاة شرلمان عام ٨١٤م فان أهل جزيرة ميورقة انتخبوا حفيدة « بونادبن بنين بن شرلمان » ملكا عليهم ويستدل بذلك على أنه فى عام ٨١٣م قام أسطول إسلامى كبير بالاغارة على جزيرة ميورقة وبسط نفوذه عليها ، ولكنه فى أثناء العودة اشتبك مع أسطول الفرنجة ويذكر أن أسطول شرلمان استطاع أن يظفر بنصر كبير على الأسطول الاسلامى تحت قيادة كونت امبورياس قرب جزيرة ميورقة وأن هذا الانتصار لم يكن هين الشأن ويستدل على ذلك بأن الأسطول الاسلامى لم يقم بأية غارات على أراضى الفرنجة .

ولم يرد ذكر ذلك الانتصار فى المصادر الاسلامية بل أن الدكتور حسين مؤنس فى حديثه عن المسلمين فى حوض البحر المتوسط يذكر أنه زمن الحكم ابن هشام فان حملة إسلامية أخرى قامت فى عام ٢٠٠ هـ/٨١٥م أى بعد وفاة شرلمان بعام واحد ، وأن هذه الحملة استطاعت أن تحقق الأهداف التى من أجلها أعدت للغزو وذلك لأن أهل ميورقة كانوا مرتبطين بعهد مع المسلمين .

وبعد إحراز هذا النصر الكبير فإن المسلمين رأوا أنه فى الإمكان الإغارة على السواحل الكارولنجية دون خوف من أية قوى بحرية فبدأوا إغاراتهم عام ٢١٣ هـ/٨٣٨م بإرسال أسطول من طرطوشه إلى مرسليا وقد زود هذا الأسطول بفرق خاصة من جزر البليار وهذا يدل على أن جزر البليار كانت قد قبلت السيادة الاسلامية عليها وتعهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين ، بل أن السفن الاسلامية كانت لها قواعد ثابتة فى تلك الجزر وأنها اتخذتها مركزاً للامداد والتموين وتجمع سفن الأسطول الاسلامى المتجه لغزو سواحل إيطاليا الغربية وسواحل جنوب فرنسا وجزر سردنية وكورسيكا .

وكذلك فانه فى عهد الخليفة الأموى عبد الرحمن الثانى بن الحكم (٢٠٦ — ٢٣٨هـ ، ٨٢١ — ٨٥٢م) حدث أن قامت فتنة فى هذه الجزر وثار أهلها وخرجوا عن العهد الذى كان بينهم وبين الدولة الاسلامية فى الأندلس فأرسل الخليفة

أسطولا مكون من ثلثمائة (٣٠٠) سفينة ومركب حربى وقد نجح هذا الأسطول فى تحقيق الهدف الذى أرسل من أجله ، وفى ذلك يقول ابن عذارى المراكشى فى كتابه البيان المغرب فى عام ٢٣٤هـ أمر الأمير بتوجيه العساكر إلى أهل جزيرة ميورقة لنكايتهم وإذلالهم ومجاهدتهم لنقضهم العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين نفرتهم ثلاثمائة مركب فصنع الله جميلا وأظفرهم بهم وفتحوا أكثر جزائرهم ، وتدل هـــذه الغزوة الاسلامية على وجود نوع من السيادة الاسلامية على تلك الجزر فضلا عن العهد المعقود بين أهل الجزر وبين الخلافة الأموية فى الأندلس وبهذه الغزوة فان الجزيرة قبلت قبولا نهائيا أن تكون تحت السيادة الاسلامية وتعهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين فى البحر المتوسط والتى ربما تمر بجزرهم للتموين .

الغزو والاستقرار :

بعد كل هذه الحملات الاسلامية التى تعرضت لها جزر البليار منذ الغزو الاسلامى للأندلس فان هذه الجزر لم تكن قد انطوت انطواءاً كاملا تحت راية التوحيد ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

إلا أنه يمكن القول أن الغزو الحقيقى الذى تبعه استقرار نهائى للمسلمين فى هذه الجزر قد تم فى عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م وذلك بأن أرسل الأسطول الاسلامى فى عهد الخليفة الأموى عبد الله بن محمد (٢٧٥ — ٣٠٠هـ ٨٨٨ — ٩١٢ م) بقيادة عصام الخولانى وكان هذا القائد البحرى قد صدر له مرسوم من الخليفة الأموى بأن يعين حاكما لهذه الجزر إذ حقق فتحها واستقر الحكم الاسلامى بها ، وفعلا فقد نجح هذا القائد المسلم فى تحقيق الهدف المقصود إذ استطاع أن يفتح ميورقة ومنورقة أما جزيرة يابسة فان الأسطول الاسلامى قد صرف النظر عنها وظلت تحت حكم حاكمها المسيحى « جويزا » .

وحكم عصام الخولانى هذه الجزر باسم الخلافة الإسلامية فى الأندلس حتى وفاته وقد تعاقب على حكم هذه الجزر ولاة مسلمين من قبل الخلافة الأموية

الأموية بالأندلس وظلت تحت السيادة الاسلامية حتى سقوط الخلافة الأموية فى قرطبة عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م .

ويذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى جـ٦ صـ٢٥٦ أن دانية وميورقة فقد استولى عليها مجاهد بن على بن يوسف مولى المنصور بن أبى عامر الذى استقل بحكم شرقى الأندلس وذلك بعد الفتنة التى حدثت فى الأندلس فانه كان قد ملك طرلوشة ثم تركها وسار إلى دانية واستقر بها وملك ميورقة ومنورقة ويابسة واستقل بملكها عام ٤١٣هـ وولى عليها ابن أخيه عبدالله ثم ولى عليها بعد أخيه مولاة الأغلب عام ٤٢٨ ، وهلك مجاهد عام ٤٣٦هـ وولى ابنه على وتلقب بلقب إقبال الدولة ودام ملكه ثلاثون عاما ، ثم غلبه المقتدر بن هود وبقى الأغلب مولى مجاهد على ميورقة وكان كثير الغزو فى البحر فاستأذن على بن مجاهد فى الغزو ، واستخلف على ميورقة صهره سليمان بن مشكيان نائبا عنه فأقام سليمان خمس سنين ثم مات فولى على بن مجاهد شخص مسيحى « بشر » وتسمى ناصر الدولة فأقام خمس سنين وانقرض ملك على بن مجاهد من دانية وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستقل « بشر » « بميورقة » ولم يزل يردد الغزو إلى بلاد العدو .

وذلك بعد أن كانت قد حدثت اضطرابات فى بلاد الأندلس عقب سقوط قرطبة وقيام ما عرف باسم ملوك الطوائف (٤٢٢ — ٤٨٤هـ/١٠٣١ — ١٠٩١م) فاستقل كل بما أمكنته به يده وأصبح لكل مدينة أو مقاطعة أمير مستقل يتولى جميع شئونها بل يقاتل أخاه المسلم من أجل توسيع مقاطعته على حساب جيرانه وبلغ هؤلاء الأمراء فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى نحو عشرين أسرة مستقلة فى عشرين مقاطعة أو مدينة .

وكانت دانية وجزر البليار من نصيب بنو عامر ولكن مجاهد هذا السابق ذكره صاحب أسطورة عجيبة فى تاريخ العلاقات الاسلامية الايطالية فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وكانت دانية عاصمته مركز النشاط الثقافى والحربى والاقتصادى وغدت نقطة وثوب على جزر البليار وجزيرة سردنية وكورسيكا بل صارت تلك المدينة قاعدة بحرية لأسطول إسلامى قوى ، أصبحت

الدولة الأوربية والإمارات الايطالية تخشى بأسه وقوته ولما استفحل أمر هذا الأسطول الاسلامى فى غرب البحر المتوسط ورأت الدول الأوربية قوته وقوة رجاله فان الدول الأوربية تحالفت مع صاحب برشلونة والذى قام بمحاصرة جزيرة ميورقة عشرة أشهر حتى تم له احتلالها واستباحها عام ٥٠٨ هـ ولكن حاكم الجزيرة المسلم بعث يطلب المدد من على بن يوسف صاحب المغرب فلم يوافى أسطوله بالمدد إلا بعد أن تغلب عليه العدو وموت حاكم الجزيرة المسلم .

ولما وصل الأسطول الاسلامى من المغرب رد العدو النصرانى عنها وولى على ابن يوسف حاكما مسلما عليها من قبله هو « وأنود بن أبى بكر اللمتونى » ثم ولى عليها على بن أبى اسحاق بن غانية صاحب غرب الأندلس فبعث إليها أخاه محمد بن على أقام فى ولايتها عشرين سنة إلى أن هلك أخوه يحيى وسلطانهم على بن يوسف واستقرت ميورقة فى ملك بنى غانية وكانت لهم بها دولة ثم ملكها الموحدون وانفرض بها ملك بنى غانية ، وكان بسط لواء الاسلام على هذه الجزر فى عهد الموحدين هو بداية عودة القوة الاسلامية البحرية من جديد إلى هذه الجزر بعد أن أصبحت الجزر الثلاثة «ميورقة ومنورقة ويابسة» مراكز للأسطول الاسلامى وبذلك قويت شوكة الاسلام فى هذا البحر ورجحت كفة المسلمين البحرية فى فى غرب حوض البحر المتوسط ، ولقد ساعد على ذلك انتشار قوة المسلمين وامتلاكهم لتلك الجزر إذ كونت جزر البليار وسردنية وكورسيكا سلسلة من الحواجز تجاه شواطىء الأندلس وشمال أفريقيا يضاف إلى ذلك سيطرة المسلمين على مضيق مسينا الفاصل بين صقلية وإيطاليا وعلى جانبى بحر الادريتايك حال دون مرور أية سفينة أوربية ، ولم يعد هناك منافس بالمعنى الصحيح للأسطول الاسلامى وذلك لسيطرة المسلمين على جزائر صقلية وكريت وقبرص ورودس ومالطة وسردنية وكورسيكا وجزر البليار وتحكم الأسطول الاسلامى فى المضايق ذات القيمة الحربية والاستراتيجية الهامة والواقعة على طريق التجارة بين الشرق والغرب . وصار إشراف المسلمين البحرى دقيقا وكاملا بفضل قيام أسطولهم بدوريات تفتيشية على سواحل الأعداء حال دون استخدام البيزنطيين والإمارات الايطالية لمياه البحر المتوسط .

ولقد لعبت جزر البليار الدور الكبير الذى لعبته كريت فى حماية الشواطىء المصرية وقبرص فى حماية الشواطىء السورية وصقلية فى حماية شواطىء شمال أفريقيا والبليار فى حماية شواطىء الأندلس الشرقية ، وبذلك يمكننا القول بأن سيطرة المسلمين على الجزر ذات المواقع الاستراتيجية الهامة كان لأغراض دفاعية فى المقام الأول ، أو على الأقل انتهت إلى نتيجة هى تحقيق أغراض الدفاع عن كل الشواطىء الاسلامية الواقعة على البحر المتوسط وقد صارت هذه الشواطىء فى أواخر القرن التاسع الميلادى فى مأمن من أى غزو خارجى يقوم به أعداء الاسلام لأول مرة منذ عام ٦٤٥ م ولقد بقيت جزر البليار فى أيدى الموحدين حتى ملكها الفرنجـــة من أيديهم فى أواخر عهد الضعف الذى وصلت إليه دولتهم .

الحضارة الاسلامية فى هذه الجزر :

لقد طبعت هذه الجزر بطابع الحضارة الاسـلامية الزاهرة والقوى والأصيل شأنها شأن غيرها من جزر البحر المتوسط والبلاد الاسلامية التى خضعت للغزو والمد الاسلامى ، حيث نمت فيها حضارة إسلامية زاهرة وأينعت ثمارها حضارة ثابتة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وهذا هو شأن المسلمين فى كل مكان رحلوا إليه ووصلوه وأقاموا به فانه سرعان ما تظهر سمات هذه الحضارة فى كل فروع الحياة فى العمارة والزراعة والصناعة والفن والثقافة واللغة والاقتصاد والادارة ونظم الحكم وفى كل مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية المتطورة المتمدينة والمتقدمة والتى تركت بصماتها واضحة وقوية فى حضارة أوربا والتى ينعم العالم بثمرتها ، لقد انعكست مظاهر الحضارة الاسلامية فى الأندلس طوال عصورها التاريخية على هذه الجزر حتى أن التقدم الحضارى الذى شهدته الأندلس ، شهدته نفس هذه الجزر .

فالمسلمون زرعوا أرضها بعد أن قاموا باستصلاحها وأقاموا القنوات والجسور وشقوا الترع واستخرجوا معادنها وعمروا موانيها وأقاموا بها المساكن ذات الطابع الاسلامى وكذلك أنشأوا المساجد وظهر بها فن العمارة

الاسلامية وتقدمت بها دراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية حتى أنها أخرجت للعالم الاسلامى علماء أجلاء نبغوا فى كل فروع الثقافة الاسلامية وعلومها المختلفة وساهموا بقسط وافر فى إثراء الحضارة الاسلامية .

وقد ذكر ياقوت الحموى قائمة بأسماء هؤلاء العلماء والأدباء والشعراء والقضاة ورجال اللغة والدين والفقه (أنظر كتاب معجم البلدان) مادة ميورقة، منورقة ، يابسة . ومنهم أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عشر اليابسى الشاعر ، وأديب بنى اليمانى الأندلسى اليابسى ، وكذلك يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبو الحجاج اللخمى الميورقى وغيرهم كثيراً من العلماء .

وتلك هى لمحة بسيطة عن دور الاسلام والمسلمين فى جزر البليار ، قصدنا بها إلقاء الضوء على هذه الجزر كما سبق أن تحدثنا عن كل الجزر الواقعة فى البحر المتوسط وبينا كيف خضعت هذه الجزر للسيادة الاسلامية وكيف ساعدت فى السيادة الاسلامية على ذلك البحر وبهذا تكون قد غطينا دراسة كاملة عن قبرص ، رودس ، كريت ، صقلية ، مالطة ، سردنية ، كورسيكا ، جزر البليار .

كيف انتهت السيادة الاسلامية فى أوربا الجنوبية

لقد كان للأسباب القوية التى أدت إلى ضياع الأملاك الاسلامية فى أوربا الجنوبية وجزرها ، هو أن الجبهة الاسلامية المقابلة للعالم الأوربى المعاصر وضحت فيها عناصر الضعف والتفكك والسبب فى ضعف هذه العناصر وجود ثلاث خلافات إسلامية تقتسم العالم الاسلامى ويعادى بعضها البعض وهى الخلافة العباسية فى بغداد ، والخلافة الأموية فى الأندلس ، والخلافة الفاطمية فى المغرب ثم فى مصر وما حولها ، وفضلا عن هذا الانقسام السياسى هناك انقسام دينى بين السنة والشيعة مما أدى إلى تمزيق وحدة العالم الاسلامى ، واضعاف جبهته أمام العالم الأوربى المسيحى الذى كان يهمه أن يرى العالم الاسلامى وقد وصل إلى

تلك الحالة من التمزق والتردى لكى يستطيع أن يحقق أهدافه فى محاربة الاسلام ومن هنا فإن العالم المسيحى أخذ يوحد أهدافه ويرسم خططه ويجمع صفوفه حتى استطاع أن يقضى على كل أثر لدولة الإسلام العظمى فى القارة الأوربية وفى جزر البحر المتوسط جميعها، ولم يكتفى بإزالة النفوذ الاسلامى السياسى والدينى، بل أنه رسم خططه وسعى لتنفيذها حتى أنه قد استطاع أن يوغل فى قلب العالم الاسلامى بالشرق الأوسط فكانت الحروب الصليبية .

كذلك ظهور العصبية بين المسلمين الفاتحين للأجزاء الجنوبية من القارة الأوربية (الأندلس) جنوب فرنسا جنوب إيطاليا ، سويسرا — جزائر البحر المتوسط ، سردنية ، كورسيكا ، جزر البليار ، صقلية مالطة ، كريت ، ردوس ، قبرص) .

وأخطرها الصراع الذى وقع بين عرب الحجاز وعرب الشام . . القيسية (والقحطانية) وكذلك الصراع الرهيب الذى وقع بين العرب والبربر وكان العرب قد حازوا على الجانب الأكبر من الأراضى الأوربية والغنائم واستولوا على المراكز القيادية فى الولايات المختلفة وقد أثار ذلك حفيظة البربر الذين اعتمد عليهم الفتح الاسلامى للأندلس ، واعتقد العرب أنهم أصحاب السيادة والسيطرة على البلاد المفتوحة ، واشتدت الكراهية بين الفريقين ، وكذلك كثرت الثورات الداخلية فى البلاد المفتوحة وحدوث الفتن والاغتيالات وقد أدت هذه الأحداث إلى انتهاز الفرنجة الفرصة للتنكيل بالمسلمين والعمل على طردهم من البلاد وقاد هذه الحملة سكان مضايق جبال البرانس الذين عملوا من جانبهم على قطع الصلة بين مسلمى جنوب فرنسا وإخوانهم مسلمى الأندلس ، كذلك التحرك المسيحى الذى قام به مسيحى شمال غرب الأندلس وغيرها من الحركات التى عجلت بالقضاء على النفوذ الاسلامى .

كذلك يضاف إلى هذه العوامل فى ضعف المسلمين فى أوربا استعانتهم بالمغامرين من أعداء الدين فى حروبهم وهؤلاء مهما أدوا من خدمات للاسلام والمسلمين فإن ولاءهم غير باق للدولة الاسلام والمسلمين .

ولقد كان للسيادة العربية الاسلامية على جنوب أوربا آثارها البعيدة المدى وقد وضحت هذه فى نظم الحكم وطرق الزراعة وأحوال المجتمع والحضارة الغربية عامة ، غير أن هذا الأثر لم يتأت فقط من مقام المسلمين الطويل أو القصير فى أرجاء أوربا الجنوبية ولكن أيضاً فى العلاقات العامة المتنوعة وهى العلاقات التى قامت بين العالم الاسلامى والعالم الغربى .

وهذا ما سنتناوله فى الفصل القادم عن أثر الحضارة العربية الاسلامية فى الحضارة الأوربية .